بسم الله الرحمن الرحيم

معالجة القضايا المستجدة في ضوء التفسير الموضوعي
رؤية معرفية في التأصيل والمنهجية

ورقة مقدمة من الدكتور عبد الوهاب أحمد محمد السعيدي أستاذ أصول الفقه المساعد كلية الشريعة والقانون جامعة الحديدة اليمن.

اَللَّهُمَّ احْفَظْ أَلْسِنَتَنَا مِنْ فُضُولِ الْبَاطِلِ، واغْسِلْ قُلُوبَنَا وَعُقُولَنَا مِنْ غَبَاوَةِ الْجَهَالَةِ، وَخَطَلِ الضَّلَالَةِ، وَمِنْ تَرْكِ مَخَافَتِكَ، وَمِنَ الْعُجْبِ الْمُتْلِفِ، وَمِنَ التَّكَلُّفِ فِي الْعَمَلِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِيْنَ. اَللَّهُمَّ آمِينَ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِيْنَ، مَصَابِيحِ الْهُدَى، وَقُدْوَةِ الْأُمَّةِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ. وبعد ''''

أنزل القرآن الكريم إلى الأمة تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، فسعى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمل الأمة على التفكير والتذكر والتلاوة والتعقل والترتيل والتأمل حرصاً على ضبط الأفكار والتصورات والرؤى والمعتقدات والسلوك والتصرفات، اهتداء في إدارة الحياة بكل مناحيها ومختلف مناشطها، وفق هذه المسارات المادية والمعنوية، ومنذ لحق الرسول بالرفيق الأعلى وقد صنعت الأمة بالقرآن على عين الله وسعت للإلمام بمقاصد القرآن وإدراك معانيه واستجلاء مراميه والوصول إلى يقين فهمه ومعرفة تفسيره وتأويله، وحين ابتعدت الأمة عن موازين القرآن في إدارة الحياة وإرادة التمكين والفعل الحضاري ارتدت في الفاعلية والعملية والعالمية لتبقى في زوايا التهميش والتابع التعيس. وظل العالم يتخبط باحثا عن المشخص والملخص والمخلص حيث لم تستطع كافة التجمعات البشرية بتكتلاتها القومية العنصرية أو االطبقية والطائفية والإقليمية واللاهوتية المتعصبة والليبرالية أو الجدلية المادية في إيجاد هذا الخلاص وليس هناك مصدر غير القرآن المحفوظ الهادي للتي هي أقوم يستطيع تحقيق عالمية الحلول والبدائل والمعالجات وشمولية المنهج المعرفي وقدراته الهائلة على التصديق والهيمنة والاستيعاب والتجاوز.

ومن هذا المنزع تبرز الأهمية المنهجية العلمية في تناول قضايا الحياة ومسائل الأحياء بوحدة موضوعية تؤسس لسلامة التصورات والتصرفات. وتردف المدارسة بالممارسة والتصديق بالتطبيق، والتفكير بالتأثير والتأصيل بالتفعيل والتنوير بالتثوير والترتيل بالتنزيل، وإن إثارة هذا الموضوع اليوم، وتقريب هذه

النظرات الجديدة، في مجال معرفي (وهو علم التفسير)، هو دعوة للتفكير في تجديد النظر في هذا العلم، على أسس علمية متينة وطرق منهجية رصينة، كسنة من سنن التطوير والتجديد، ضمن قراءة مبدعة وتفاعلية تنطلق من المرجعية ذاتها التي انطلق منها القدماء تسعى، وهي محملة بكل منجزات العصر إلى استكناه الآفاق الممكنة في النص بغية إدراك العالم وتصوره انطلاقا من النص للتعرف على دلالاته المتجددة في الوجود والكون والممتدة في الزمان والمكان، ولأن القرآن الكريم هو المؤسس للحضارة فإن علومه وتفسيره وتأويله تمثل العمود الفقري لمشاريع النهضة الإسلامية وتطلعاتها الإصلاحية، ولذا فإن تدبّره واكتشاف أسراره لا يمكن التمكُّن منها من خلال تفسيره الجزئي، وقد ظهرت في العقود الأخيرة مشروعات جديدة تطور التفكير في التفسير الموضوعي والمفردات القرآنية[1]، وجرت دراسات عديدة في الأسلوبية (أسلوبية القرآن الكريم)، واستخدم علم الدلالة في دراسات القرآن الكريم، كما بدأ التساؤل عن المناهج الجديدة في التفسير[2]، ويمكن ملاحظة أعمال كثيرة أخرى. وهذا ما سيكون له أثرٌ عميقٌ في تراكم مباحث التعامل مع القرآن الكريم، ولذا فإن المؤتمر يأخذ على عاتقه طرح التساؤلات حول المنجزات المعرفية، و القضايا المنهجية، والقواعد الأصولية والمحددات الإجرائية في تسديد وترشيد العملية التأويلية للنص القرآني.

إن مهمة تطوير[3] الدراسات القرآنية هي مسئولية علماء القرآن والباحثين المعاصرين في الجامعات والأكاديميات الإسلامية[4]، ولذا كان هذا المؤتمر

---

[1] للاستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات نشاط واضح في هذا من خلال بحوثه ومحاضراته ومقابلاته وأهمها بحث الأمة في القرآن الكريم وغيرها.

[2] لا يزال تحديث مناهج التفسير وإعادة قراءة القرآن يشكلان اهتماماً استثنائياً لدارسي العلوم الإسلامية ومراكز الاستشراق الحديث. وعلى رغم اختلاف سبب اهتمام الطرفين بهذه القضية، إلا أن اجتماعهما عليها يكسب الأمر أهمية استثنائية من الناحية العلمية والفكرية في ما يتعلق بالقرآن، خصوصاً أن تحديث مناهج التفسير وإعادة قراءة القرآن كانا موضوع أهم السجالات الفكرية في القرن الماضي، والتي شغلت الرأي العام، بدءاً من «تاريخ القرآن» لتيودور نولدكه، مروراً بـــ «الشعر الجاهلي» لطه حسين، وصولاً إلى محمد أركون ونصر حامد أبو زيد ومحمد شحرور، وربما كان يتوقع ذلك محمد عابد الجابري في كتابه الأخير عن القرآن. ويشكل تنوير العقل الإسلامي وعصرنته هدفاً مشتركاً بين مختلف المعنيين بإنجاز هذا التحديث لمناهج التفسير والقراءة الخاصة بالقرآن، بغض النظر عن اختلافهم العميق في مفهوم «التنوير» و «العصرنة» أو«التحديث». وربما في هذا السياق أُعيد نشر مقدمات تفسير العلامة محمد الطاهر بن عاشور في شكل مستقل (بعناية: محمد الطاهر الميساوي، دار التجديد، 2006) المعروف بـــ «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد».

[3] إن تطوير نظام معرفي إسلامي (أصيل ومعاصر في آن واحدٍ) يشتمل على أربعة محاور وأركان متداخلة، هي:
1- محور دراسة مناهج التعامل مع الوحي، (قرآنًا وسنة).
2- محور دراسة المناهج المستخدمة في دراسة التراث والتاريخ وتدريسه، نقدها.
3- محور العمل على دراسة ونقد المناهج، والتجارب الغربية، والإنسانية الأخرى
في المعرفة، وفي البناء الحضاري، وتقويمها ونقدها.
4- محور بناء منهج اجتهادي، تجديدي، توحيدي، لإقامة علوم وحضارة إسلامية
إنسانية موحدة أصيلة ومعاصرة.
انظر: حول النظام المعرفي في القرآن الكريم محمود عايد الرشدان مجلة اسلامية المعرفة عدد 10.

[4] في هذا الإطار فإن الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا أدخلت في مفردات مناهجها مقرر "الخطاب القرآني" (Qur'anic Discourse)، ويعتبر هذا المقرر فريدا من نوعه؛ إذ لا يوجد شبيه له في الجامعات الأخرى، الغاية منه

المطروح من جامعة الشارقة العامرة استجابة لتحدي التأكيد بعد التأسيس والتفصيل بعد التأصيل لهذه المنهجية ومساهمة في تبصير العقل العلمي الإسلامي نحوها عند تناوله قضايا الأحياء والأشياء والإحياء.

ومسايرة لهذه المساهمة والنزع بدلو المقاومة أحببت المشاركة في هذا المؤتمر بهذه الورقة التي تتناول محور منهجية التفسير الموضوعي في معالجة القضايا وحلها[5]، وهي عبارة عن تقديم رؤية معرفية في منهجة وتأصيل تأويل النص القرآني لتأطير مستحدثات الزمان وتنوير مستجدات المكان تنزع نحو التجريد قبل التجسيد والتشحيص قبل التلخيص تفرق بين الاستعلام والاستخدام والإخضاع والخضوع[6] للنص كنوع من مجانبة الإسقاط ومجانفة استنطاق النص في عملية تأويلية تعسفية بالهيمنة والتسلط على الكلمات دون شعور بأن" الكلمات لها حقوق وعليها واجبات وما ينبغي أن يترك التوسع بلا ضابط أو رقابة أمنية[7]، ونحن في عصر أصبحنا نعاني فيه من غربة الزمان بتلقيد الماضي دون تبصر وغربة المكان بتقليد الآخر دون بصيرة[8].

أهداف النظرة الموضوعية للقرآن الكريم.

- بناء منظومة معرفية إسلامية معاصرة وهرم مقاصدي قرآني يشكل معيار النظر وضبط الاجتهاد وتؤطر حركة ونشاط المسلمين المعاصرين وتعيد إحياء وعيهم الديني والمعرفي والعلمي والحضاري من خلال سبر كنه أسرار القرآن وحقائقه.

-بناء واقع إنساني من خلال التأسيس العلمي للقرآن لبناء الفرد والجماعة والأمة ونظام عالمي لخدمة الإنسانية.

– التقريب من خلال هذا العلم بين طوائف المسلمين المختلفة عقائديا على الصعيد العلمي والنفسي، ومن ثَمَّ التشريعي والاجتماعي، وتضييق هوة الخلاف بينهم، وجعله مصدرا يمد الساحة الدعوية والمعرفية والتشريعية بمعطيات جديدة مؤسَّسة علميا ومؤصلة إسلاميا.

– وضع حد لكثير من المحاولات الرديئة الغثة (وهي كثيرة في أيامنا...) التي

مواكبة التطورات الحاصلة في دراسة القرآن الكريم التي نقلت دراسة القرآن من النص إلى الخطاب وفتحت مجالات جديدة للبحث في الدراسات القرآنية.

[5] بين الطاهر بن عاشور في مقدمة تفسيره أن غرض القرآن هو «إصلاح الأحوال الفردية، والجماعية، العمرانية».

[6] بل يحاول بعضهم الاستيلاء على النص وضمه إلى مقتنياته الخاصة، والحرية الحقة تتمثل في المجاهدة من أجل الخضوع للنص أو الشعور بأنك خادم له. انظر: اللغة والتفسير والتواصل د. مصطفى ناصف عالم المعرفة رقم93، سلسلة تصدر شهريا عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 1995م، ص173.

[7] إذ الكلمات ليست أبواباً تفتح على مصاريعها لكي يدخلها من شاء فكل تأويل يقوم على الاستئذان وما يشبه دق الباب وآداب الدخول انظر: اللغة والتفسير والتواصل د. مصطفى ناصف ص83.

[8] انظر: مقدمة عمر عبيد حسنة لكتاب إحياء دور الوقف لتحقيق التنمية د. أسامة عبدالمجيد العاني، كتاب الأمة رقم 135، الصادر من وزارة الإرشاد القطري.

تمارس تفسير القرآن وتَدَبُّره وتحليله دون استجماع أدواته الأساسية، القديمة والحديثة.

– تحقيق التجديد الديني والحضاري المنشود وإعادة النظر في الأحكام الشرعية الضعيفة والاجتهادات الخاطئة وتخليص الساحة الثقافية الإسلامية من الفوضى الفكرية السائدة فيها[9].

– اكتشاف رؤية قرآنية لمختلف القضايا كمنهج معرفي للفهم، ممّا يؤدي إلى نتائج في الأبعاد: الاجتماعية والتّاريخية والعلمية في القرآن الكريم.

- هيكل البحث يقوم عنوان:**معالجته القضايا المستجدة** على محورين الأول محور المقدمات المعرفية والمنطلقات المرجعية ومحور قواعد أصولية وإجراءات منهجية لكل منهما ما يلازمه من مباحث وفروع.

و**محور:معالجته القضايا المستجدة**، يعني تحديد معالم الرؤية الشرعية للقضايا المستجدة من منظور القرآن الكريم عبر القواعد التي تحفظ له الكينونة الكاملة من خلال رد المتشابه للمحكم والمجمل إلى المفصل والعام إلى الخاص والمطلق إلى المقيد، في منهجية مفاهيمية وقواعد أصولية تتربع على معيارية تتمثل في ثلاث مسلّمات:

المحور الأول: مقدمات معرفية ومنطلقات مرجعية.

كثرت التفاسير والمقاربات للنص القرآني قديماً وحديثاً وتعددت المناهج بين الوفاء للنص في اكتشاف معانية وبين إسقاط المعاني عليه والتعسف في تأويله بما يتناسب مع توجهات القارئ، وفي سعي لتجاوز المزالق لاكتشاف معاني القرآن من خلال وحدته الموضوعية كمنطلق لما غدا يعرف بالتفسير الموضوعي، والاهتمام بالألفاظ القرآنية المستخدمة على أكثر من وجه، وهو علم لصيق بعلوم العربية لكنه منحصر في السياق القرآني وتعود جذوره إلى القرن الثاني الهجري، وظهرت أهميته مؤخراً مع تطور المناهج اللغوية وتركيزها على السياق في تحديد المعنى وتوجيه فهم المفسر، فكانت فكرة المصطلح القرآني[10]. لقد أدرك جيل الانبثاق الحضاري والأجيال التابعة له بإحسان؛ دور القرآن الكريم في البعث والحركة، ووظيفته الأساسية الشاملة، فارتفعوا بها، وعرفوا لماذا نزل؟ ولماذا تعبدنا الله بتلاوته؟ وفهموه فهماً شاملا حضارياً، لا ينحصر بالتفسير اللغوي الجاف الذي يقف عند إعراب كلمة أو

---

[9] انظر: المنهج السياقي ودوره في فهم" النص" وتحديد دلالات الألفاظ.. مع نماذج تطبيقية من القرآن الكريم، الدكتور مسعود صحراوي، كاتب وأكاديمي جزائري.

[10] انظر: لسان القرآن ومستقبل الأمة القطب، الدكتور طه جابر العلواني.

بيان اشتقاقها، أو الفقه الاصطلاحي الحرفي والمجزوء والرهباني الذي يقف عند بيان أحكام العبادة الروحية، من صلاة وحج وصوم، ولم يكن تجريديا يعتمد على كثرة المعلومات، بل كان تفسيراً مهاريا، يدرك روح القرآن كما يدرك ألفاظه. أدركوا أن العمران والتقدم المادي، هو الجانب الآخر الذي لا تتم التعادلية الإسلامية إلا به، بصفة الإسلام مشروعاً للتقدم الروحي والأخلاقي، وللتقدم الاجتماعي والعمراني معاً، وبصفته مشروعاً للسعادة في الدنيا والآخرة في نسق متآلف شامل، وتلك هي الميزة الفريدة لحضارتنا(11).

وعملاً بهذا المسار، ينتظم لنا المشوار، و"وما حاضرنا إلا خطوة نخطوها من ماضينا إلى مستقبلنا، فلماذا نخطوها إذا كنا لا نتذكر ما وراءنا ولا نأمل فيما أمامنا..."(12).

المبحث الأول: المنهج بين القرآن والإنسان.

أولا: الفلسفة. مفردات (الهداية)، و(التبيين)، و(التزكية)، و (الإصلاح)، و(التنزيل)، و(الدعوة)، و(الذكر)، و(النور)، و(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وآيات (الكتاب) تُثبتُ بقوةٍ أنَّ فلسفة نزول القرآن الكريم تتجاوز حدود علاقة فردية بين الإنسان وربّه، وتتعدى إطارات عمل الفرد، لتطالَ كافة مجالاتِ السلوك والعقيدة في الحياة13. إن القرآن عامل إيمان وركن العبادة وكتاب دعوة ومظهر معجزة وأساس الكيان الاجتماعي وقوام الشخصية الفردية والجماعية ومدد التفكير ومادة للتعبير وأساس النظام فيه أصول المعاملات وآداب الجماعات وروح العلاقات بين الذوات(14).

ثانياً: الأهمية. وقضية المنهج في فهم القرآن والحديث، تمثّل القاعدة الصلبة لبناء تصورات عن الوحي وحركته الواقعية ومشروعه الهدائي للإنسانية جمعاء(15)، إذ تكمن مهمة الوحي في إخراج الإنسان من الظلمات إلى النور، وهذا ما يجعله أعظم آلية لِمَسطَرَةِ ومَعيرَةِ سلوك الإنسان وحركة التاريخ، وهجره هو إلغاء فاعليّته على ساحة الحياة، والمطلوبَ من الدارس القرآني رسم منهج التعامل مع

---

[11] انظر: تعليم القرآن الكريم منهج الصحابة أم منهج التابعين أبوبلال عبدالله الحامد، طبعة الدار العربية للعلوم .بتصرف يسير.

[12] انظر: ومضات فكر، محمد الفاضل بن عاشور، الدار العربية للكتاب، تونس 1982. ص. 173.

[13] انظر: المرجع نفسه.

[14] انظر: ومضات فكر، محمد الفاضل بن عاشور الدار العربية للكتاب، تونس 1982. ص29.

(15) انظر: قراءة في المنهج الديني لإحكام الفهم الديني ، السيد عصام احميدان الحسني مدير عام معهد الرسول الأكرم العالي للدراسات الإسلامية، وهو باحث. ومؤلف .

القرآن وأساليبِ تكييف مضامينه مع الواقع المتحرّك، من دون أن يؤدي المنهج هذا إلى إلغاء الإنسان ولا إلى تقليص أو تجميد الوحي المُنزَلِ(16).

ثالثاً: خطوات المعرفة والمنهج

1 وأولى خطوات المنهج والمعرفة العقل والعقل في المنظور الإسلامي ذو مكانة عالية لكنه يبقى جهازا معرفيا محدودا ومتطلعا في حركته لآفاق الوحي وبصائره ليكون العقل المعصوم والعقل الكامل , والذي يستمد عصمته و كماله من كمال الوحي ومعصوميته17.

2- التدبر وقضية التدبر والتفكر[18] تعني التمعن والتأمل في المعاني الدلالية والمعرفية والمنهجية التي توحي بها دراسة القران الكريم وفق المسلمات العربية والمقاصدية والانسجامية[19] مما يحصنه من عبث العابثين، وبالخصوص هذا العصر الذي تتصارع فيه معاني الحياة بين الإيمان والتعطيل، بين الروح والمادة، بين الأمل والقنوط[20]، وهي مناهج للفهم[21]تمكننا من القراءة الواعية والتفكير السليم والتدبير الصحيح، والنظر الطويل والتأمل العميق بحثا في علومه وحقائقه ومعانيه[22]، وتجنبنا كل انحراف وقصور في فهم معاني كتاب الله العظيم، وهذا التدبر سبيل إلى إبصار الكون والتاريخ والحياة وتفسير حركة الحياة[23].

رابعاً: المنهج بين الكشف والتأسيس.

القرآن الكريم يمتلك منهجه الخاص، ومهمّة العلماء والباحثين هي استكشاف ذلك المنهج وليس تأسيسه، وبين الكشف والتّأسيس بون شاسع بلا شك، حيث منهج الفهم الديني وفق آليات من صنع الدين نفسه , بعيدا عن غرور التّأسيس وادّعاء الإبداع, التي انتهت إلى تشرذم العقل وضياعه في متاهات (المنهج)..

---

16 المرجع السابق.

[17] انظر: نحو الهيمنة القرآنية على حركة المعرفة والاجتهاد الدكتور الشيخ نجف علي ميرزائي.

[18] التدبر تصرف في العواقب، والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل ضمن اللفظ العربي الذي له قواعد معينة مضبوطة في طريقته في التعبير عن المعنى، انظر: تفسير القرآن للعلامة حسين فضل الله -ج -7 ص 369-370.

[19] سيأتي الحديث بشيء من التفصيل عن هذه المسلمات في محور القواعد الأصولية.

[20] انظر: الفلسفة القرآنية، للعقاد ص10

[21] على أساس معرفة دقيقة بخصائص البيان القرآني، مالكا لأدوات الذوق والمعرفة والقدرة على التمييز بين أنماط البيان المختلفة، عارفا بعلوم التفسير وعلوم القرآن، وحركة العقل السليم، وسيأتي في ثنايا البحث بيان للخطوات الاجرائية والقواعد الأصولية الممنهجة لتأويل القرآن الكريم، انظر: من وحـــــي القـــــرآن: قراءة في منهجية فهم الخطاب القرآنـــي أحمد بابانا العلوي.

[22] انظر: من وحـــــي القـــــرآن: قراءة في منهجية فهم الخطاب القرآنـــي أحمد بابانا العلوي بتصرف.

[23] انظر: المرجع السابق.

والقرآن والحديث قد أفصحا عن المنهج في التّعاطي معهما، حيث عنصري المحكم والمتشابه في البنية الدّلاليّة لألفاظ القرآن الكريم،{منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات..}، وعن أبي هريرة عن النّبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: (تعلّموا القرآن وتعلّموا غرائبه وغرائبه فرائضه وحدوده , فإنّ القرآن نزل على خمسة وجوه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال , فاعلموا بالحلال ودعوا الحرام واعلموا بالمحكم ودعوا المتشابه واعتبروا بالأمثال)[24]، والمعنى أن تحكم عمليّة الفهم , ويقعّد لها من خلال ضوابط إجرائية عملية في أفق استيعاب عملية الفهم وجعلها ممكنا معرفيّا لا مفارقا خياليّا[25].

خامساً: الحقيقة والحق.

والحقيقة وحدها تضيء لنا الطريق الموصل إلى الحق، والحق قيمة تعطي للحياة معنى وللوجود غاية، والقرآن كتاب نزل بالحق، ويهدي إلى الحق، ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور، ومن ثم فإن القوة الكبرى والحق الأكبر لا يختصمان والجمال الشامل والحق الخالد لا يختلفان، وقصد المفسر الوصول إلى ضبط حقيقي لتوجيهات القرآن المتمثل في مظاهره الثلاثة الديني والأخلاقي والأدبي، بمعنى أنه يشبع حاجة الناس إلى الحق والخير والجمال بما يجمع من صفات العمل الديني والأخلاقي والأدبي[26].

المبحث الثاني: علم أصول التفسير إشكالات المنهجية والرؤى البينية.

إشكال علم التفسير في المنهجية التي سار عليها من حيث التقزم أو التضخم بحيث كان التقزم في منهجية الوحدة البنائية والمناسبية للقرآن الكريم ككل، والتضخم من حيث النظرة التجزيئية المذهبية مما جعل الإمام ابن تيمية يصف هذا الحال بقوله" إن الكتب المصنفة في التفسير مشحونة بالغث والسمين والباطل الواضح والحق المبين "(27)، وعلم أصول الفقه مؤهل لضبط العملية التفسيرية، إذ هو حل لمشكلة الفهم اللغوي الخاص، للدليل الشرعي. سواء من حيث مقاصده الدلالية، أو متعارضاته الإشكالية(28)، وإن الانشغال بمناقشة دلالة الدليل دون الابتداء بالنظر في مدى صلاحيته للاستدلال هو أكبر خطأ أصاب منهجنا الاستدلالي الأصولي

---

[24] (أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (427/2، رقم 2293) والحاكم (477/2 رقم 3644) وقال : صحيح الإسناد . وتعقبه الذهبى فى التلخيص.

[25] انظر مقال: قراءة في المنهج الديني لإحكام الفهم الديني، السيد عصام احميدان الحسني.

[26] انظر: مختصر مدخل إلى القرآن الكريم، دكتور محمد عبدالله دراز ترجمة وتلخيص محمد عبدالعظيم علي دار الدعوة 1996م− 1417هـ ص 23.

[27] انظر: مقدمة في أصول التفسير، الإمام ابن تيمية، تحقيق: فريال علوان، دار الفكر اللبناني، ط1، 1992م، ص33

[28] انظر: المصطلح الأصولي د فيرد الأنصاري ص425/124 بتصرف، والتفسير اللغوي للقرآن الكريم، الشيخ الحافظ، ص 96

على مدار التأريخ[29]، وبهذا يكون النص القرآني قد اكتنفته في مراحل العصور إشكالات عديدة من جهة التلقي والتفسير والتأويل تمثلت في نظرات مختلفة اتسمت بالتقابل لا التكامل والتنافر لا التآزر أدت في محصلتها إلى إحداث شرخ في مسيرة التنظير والتأطير لمشكلات الحياة وتساؤل الناس.

أولاً: النص القرآني ومعضلة التلقي والتحدي.

النصّ القرآني ظلّ ثابتاًبنيوياً، ومتحرّكاً معرفياً،ولكن معضلة التلقّي والتحدّي تمثل إشكالية مزدوجة، فلإذا كان التلقي مرتبطاً بمعاني القرآن فإنّ التحدّي متوجّه،إلى فكر الإنسان ومعارفه حيثُ محدودية طاقته الذهنية ونسبية قدراته المعرفية.
فالمعاني القرآنية لا تُقاس بمعاني الكلام العاديّ؛ إنها معان واسعة وعميقة يستحيلُ الوصولُ إليها بمنطق اللغة الطبيعيّ إنما تحتاج إلى عمليات تأويل متقدّمة، ونظرية النظم التي راحت تفسّر إعجاز القرآن تفسيراً بنيويّاً مجرداً يبحث في القوانين التركيبية والبلاغية جاءت بعد احتدام الجدل حول مسألة الخلافة والإمامة وخلق القرآن[30].

ثانياً: التفسير الموضوعي الأهمية وبطئ التبلور.

تكمن أهمية التفسير الموضوعي في كونه يمثل نمطاً من الاستجابة للتطورات الحديثة التي استجدت في حياة المسلمين، باعتباره منهجاً يساعد المفسر على استجلاء نظريات القرآن وقواعده في شتى شؤون الفكر والحياة، لكنه رغم هذه الأهمية لم ينل ما يكفي من التأصيل والضبط المنهجي والنقد الذي يقومه ويطوره[31]، ولذا فإن تطوير الأدوات المنهجية، وربطها بالعلوم اللسانية، والتي يمكن من خلالها الكشف عن بنية القرآن، ومفهوماته، ونظرياته، وأحكامه، بطريقة

---

[29] انظر: المنهج القرآني الفاصل بين أصول الحق وأصول الباطل الدكتور طه حامد الدليمي.ص 20.

[30] الجاحظ هو أوّل من كتب في «نظم القرآن» و«البيان والتبيين»، والجرجاني في «دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة»، والقاضي عبد الجبّار: «المغني في أبواب التوحيد والعدل ومتشابه القرآن»، ومعمر بن المثنى في كتابه «مجاز القرآن»، والفراء في كتابه «معاني القرآن»، وابن قتيبة في كتابه «مُشكل القرآن»، والرماني في كتابه «النكت في إعجاز القرآن»، والخطابي في كتابه «بيان إعجاز القرآن»، والباقلانيّ في كتابه «إعجاز القرآن».انظر: التفسير في الإسلام... اتفاق على التنزيل واختلاف في التأويل لهيثم سرحان، أستاذ السيميائيات وتحليل الخطاب في جامعة فيلادلفيا الأردنية، جريدة الحياة – 0208/10/18

[31] في ضوء ذلك تبرز أهمية الدراسة التي أعدها الدكتور سامر رشواني بعنوان:" منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم:دراسة نقدية" ((رسالة ماجستير – جامعة القاهرة 1423هـ–2002م، صدرت عن دار الملتقى بحلب 2009، والتي قدم فيها رؤية تحليلية ونقدية لنوعي التفسير الموضوعي (التفسير الموضوعي للقرآن والتفسير الموضوعي للسورة)، ومنهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، زياد خليل محمد الدغامين،عمان: دار البشير، ط:1/ 1995م، والمدخل إلى التفسير الموضوعي د. عبد الستار فتح الله سعيد دار التوزيع والنشر الإسلامية ط 1986/1م 1991/2م، ومباحث في التفسير الموضوعي أ.د.مصطفى مسلم دار القلم دمشق 2000م، حيث ذكر فيه خطوات إجرائية.

أشد تماسكاً وأقل اختلافاً، بحيث يؤدي هذا النمط من القراءات المعاصرة إلى ميلاد وعي أعمق بمركزية القرآن في الفكر الإسلامي، ومحوريته في مشاريع النهوض والتجديد[32].

---

[32] انظر: في منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، بنية القرآن كمدخل لإعادة القراءة وكلاهما لعبد الرحمن حللي.

ثالثاً: اتجاهات دراسة النص المعاصرة

اكتنفت اتجاهات دراسة النص القرآني تقابلات ورؤى بينية امتزج فيها الأصيل بالدخيل، وشعور التقديس أو التبخيس.

1 أصيل ودخيل

حيث شهد القرن العشرين انتقالا في دراسة القرآن من التفسير النصي إلى تحليل الخطاب، (التفسير الموضوعي)، وهو يعني تقديم الخطاب القرآني في مواجهة قضايا العصر وتحدياته، وفتح أفقا جديدا للقرآن، إلا أن إهمال تطوير البحث المنهجي في الدراسات القرآنية وإغراء المعارك الأيديولوجية فسح الفرصة أمام من يريد تغيير عقائد المؤمنين بالتقدم نحو القرآن ومحاولة زعزعة إيمانهم من خلال زعم "فهم" جديد للقرآن اعتمادا على المناهج الحديثة، نحو الدراسات الأنثروبولوجية أكثر من الدراسات اللسانية،لإثبات أن العنف ظاهرة أصيلة في بنية الخطاب القرآني[33]، فلا بد في العملية التفسيرية للنص القرآني أن نأخذ سبل ومناهج أكثر ملاءمة لثقافة العصر، مع الثوابت والضوابط التي تحكم العملية التفسيرية برمتها، أنى كان منهجها وأدواتها. حتى لا تصبح دعواتنا هاته، ملتبسة بدعوات مجانبة للتجديد والتحديث لا تميز بين الجمرة والتمرة ولا بين الشحمة واللحمة.

2 تقديس وتبخيس

ومن الاتجاهات المعاصرة في دراسة النص القرآني حركة الاستشراق التي انقسم الدارسون المسلمون (وغيرهم) لها إلى اتجاهات: اتجاه بخس أعمالهم واعتبرها مؤامرةً استعماريّة تهدف الى التوسّع والسيطرة الغربية على العالم الإسلامي، ومن ثم يجب اتخاذ موقف دفاعي إزاء هذه الحركة دون تمييز، مع اعتراف خجول بقدرها ودورها المعرفي على الصعيد الإسلامي[34]،واتجاه قدّس فأفرط معتبراً أن

---

[33] الدارسات الكلية الغربية والعربية الحداثية للقرآن تقرأ القرآن قراءة متربصة بحثا عن "العفريت"؛ أعني الإرهاب (مثل دراسة كريستوف لوكسمبورج)، أو محاربة للتصورات الدينية المقاومة تحت مسمى الإرهاب (مثل الدراسة الإسرائيلية التربوية "قرآن نت: مشروع اجتماعي")، وسيكون بمقدور دراسات الخطاب القرآني فيما إذا بدأت بالفعل في عالمنا الإسلامي من قبل المتخصصين في الدراسات الإسلامية أن تقوم بالتصدي لهذه الانحيازات الأيديولوجية وكشف التلاعبات السياسية بتأويلات القرآن الكريم تحت دثار العلم.. انظر مقال: من التفسير إلى التحليل، عبدالرحمن الحاج.

[34] ومن أصحاب هذا الاتجاه مالك بن نبي معتبراً أن الاستشراق قام بمؤامرته عن طريق تبجيل المسلمين أكثر، انظر: القضايا الكبرى، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي ص167 ــ 198، وقد أخذ بهذا الرأي العديد من بينهم الباحث الجزائري محمد بشير الهاشمي مغلي، أنظر مجلّة المنهاج، بيروت، العدد 18، 239 ــ 252، ولــه أيضاً في العدد 15 من المجلة نفسها، ص94 ــ 107 والعدد 16، ص76 ــ 87، المدخل إلى التفسير، عبد الحميد بن محمد ندا جعرابة،مكتبة الزهراء، القاهرة،ط1، 1996م، ص306 ــ 309، وممن اتخذ موقفاً سلبياً عبدالجبار الرفاعي، مجلة رسالة القرآن، العدد 11، 1413 هــ، ص181 ــ 182، وكذلك الكاتب الايراني مسعود

نتاجهم المعرفي لموضوعات إسلامية لم يكن ليرقى إليه المسلمون أنفسهم، وتحوّل إلى مرجعية طبعت بصماتها فيما بعد على تيارات ثقافية بكاملها داخل العالم الإسلامي، وبدت هذه التيارات ترجمة شبه حرفية لكلمات المستشرقين[35].

المبحث الثالث: تجديد النظر إلى النص القرآني المبررات، الضوابط، المداخل.

أولاً: المبررات.

أن يعتبر ما وصل إليه المفسرون هو نهاية المطاف في فهم القرآن لا يمكن أن يكون منسجماً مع حقيقة أنه كتاب إلهيا لا يخلق على كثرة الرد[36]، وكونه كتاباً لا يحيط بكلماته زمان أو مكان، "قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا"(الكهف:109)، والجديد الذي نريده ليس بالضرورة نقداً أو نقضاً للقديم، وإنما ترميماً أو إعادة بناء، فلا جديد بلا منهج ولا وقوف عند قديم يعقم بذور الإبداع.

فإعادة دراسة القرآن تستمد مشروعيتها من طبيعة القرآن نفسه فهو نص أنزل ليقرأه كل من يدخل في خطابه، ولا يحده زمان أو مكان، كما أن ما كتبه المفسرون هو تجربة في فهم القرآن، إن كشفت عن جوانب من معانيه وأحكامه فإن جوانب أخرى ما تزال مكنونة فيه، شريطة أن يؤدي هذا النمط من القراءات المعاصرة إلى ميلاد وعي أعمق بمركزية القرآن في الفكر الإسلامي، ومحوريته في مشاريع النهوض والتجديد[37].

ثانياً: الضوابط.

هناك فرق بين حداثة التفسير التي تعني استعمال الفكر الحداثي الغربي في تفسير القرآن الكريم، وبين تحديث التفسير الذي يؤكد حقيقة أن القرآن الكريم صالح لكل

ربيعي آستانه، مجلة پژوهشهاي قرآني (بحوث قرآنية)، العدد 27 ــ 28، 2001م في مقالته حول رجيس بلاشير، ص391، ويبرز في هذا السياق الكاتب الفلسطيني ادوارد سعيد ــ وإن بنمط تحليل مختلف ــ في كتابه الهام "الاستشراق، المعرفة السلطة، الإنشاء"، دار الكتاب الإسلامي، إيران، الطبعة الثالثة، ترجمة كمال أبو ديب.

[35] انظر: النموذج النقدي الذي سجله الدكتور حسن حنفي على الدكتور هشام جعيّط في كتابه "الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي"، وهو يخص مرجعية الاستشراق عند جعيّط، أنظر دراسات فلسفية في الفكر الإسلامي المعاصر، دار التنوير، بيروت، ط1، 1995م، خصوصاً ص227 ــ 228.

[36] بل النص القرآني ذاته هو الذي يشرّع للتأويل وذلك من إرادة الله، بل للتأويل علاقة راسخة بالإيمان بحكم أن الإيمان يستدعي تقصي الحقيقة، فالتأويل والإيمان والحقيقة في دائرة دلاليّة موحّدة الأبعاد " قال ابن دقيق العيد في الألفاظ المشكلة : إنها حقّ وصدق، وعلى الوجه الذي أراده الله، والأسئلة المعاصرة انعكاس فعلي لشروط العمران المتغيّرة من طور إلى آخر حسب وصف ابن خلدون، وعلى ضوء هذه المقاربة لا يمكن عمليّا ـ بحكم سنّة التبدل من طور إلى آخر ـ تثبيت فهم واحد للنص المؤوّل. انظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع [د.ت] ص 176.
المقدمة لابن خلدون، ص 175، التأويل بين شروط النص ومقتضيات العمران، عثمان صادق شريحة بتصرف.

[37] انظر: بنية القرآن كمدخل لإعادة القراءة عبد الرحمن حللي.

زمان ومكان، ولذا فإن ضوابط هذا التجديد يجب أن تنبع من النص القرآني نفسه، لأنه «منهج حياة» فلا بد أن تكون القراءة تزيد الفاعلية والتفاعل مع الحياة. من خلال تفعيل النص لا إلغائه، بمعنى قراءة فاعلية لا الغائية، التحامية لا إنسلاخية {واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين}لأعراف:[175/7][38]،وسيأتي في المحور الثاني ذكر القواعد الأصولية والآليات المنهجية التي من خلالها تبدو الضوابط المعتبرة والمعايير المسطرة لتجديد قراءة القرآن الكريم.

ثالثاً: المداخل[39].

الدراسة المصطلحية للقرآن الكريم، تكشف عن بنيته الداخلية دلالة وسياقا، وتمنح الدارس قدرا مهما من التجرد عن أي رأي مسبق[40]، بل ينطلق من النص ليؤسس نسقا فكريّا لا يقطع مع شروط الاستعمال اللغوي، وما يفعله بعض المفسرين من الإحالات على تفسيرات سابقة لبعض الألفاظ المختلفة في السور والآيات دون مراعاة السياق وترتيب النزول يُتلاشى في هذه المنهجية[41]، ومركزية المصطلح القرآني في تحديد دلالة النص ضمن وحدته البنائية، مسألة مهمة نبه عليها الراغب الأصفهاني (503هـ) في مقدمة كتابه(مفردات القرآن)[42]، ولذا تبدو الحاجة للدرس المصطلحي للنص القرآني مبررة بثلاثة ارتباطات: الأول مرتبط بطبيعة النص القرآني، والثاني مرتبط بطبيعة اللفظ القرآني، والثالث مرتبط بالمصطلح القرآني.

---

[38] انظر: قراءة النص القرآني بين الالتحام والانسلاخ– أحمد خيري العمري كاتب عراقي مقيم في سوريا وقد نشر في مجلة العرب، بتصرف .

[39] القصد من ذكر هذا المدخل التأصيل لا التفصيل بمعنى لفت الأنظار إلى أهميته في تجديد النظرة إلى القرآن، وللمزيد عن الموضوع انظر: القرآن الكريم والدرس المصطلحي فريده زمرد، حيث ذكرت خصائص وثمار الدرس المصطلحي للقرآن الكريم

وهي ورقت قدمت في ندوة (القرآن الكريم ولسانيات الخطاب) بكلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس سايس، بتاريخ: 22، 23 /04/ 2006م، ولها اهتمام واسع ومشهود بهذا الأمر، وكذلك الدكتور طه جابر العلواني في سلسلته دراسات قرآنية وهي عبارة عن خمسة كتيبات أولى الدرس المطلحي اهتمام كبير لأهميته في القراءة المعاصرة للقرآن الكريم.

[40] لتميز القرآن بدلالته المتجددة والمستمرة في الوجود والكون، فقد مر تفسيره وفق رؤيتين: رؤية قرآنية، ورؤية إنسانية تنوعت بحسب الزمان والمكان والإنسان، فكان التفاعل بين الرؤيتين تتجاذبه هيمنة رؤية المفسِّر أحيانا باعتباره إنساناً منفعلاً بثقافة وسلوك ومجتمع معين، وهيمنة رؤية المفسَّر أحايين قليلة التي لا يمكن بحال توجيه دلالاته تبعا للتصورات المذهبية والآراء الخاصة للمفسر، فكان المدخل المصطلحي، ومنهجية التوفيق بين الرؤيتين مدخل آمن إلى التفسير، وعاصم من السقوط في مزالق التأويل الجاهل والتحريف الضال.[40] انظر: تفسير القرآن من التوجيه المذهبي إلى المدخل المصطلحي فريدة زمرد، ونحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة للشاهد البوشيخي، أنفو برانت، فاس، 2001، ص: 2، م، ومفهوم التأويل في القرآن والحديث، فريدة زمرد، أنفو برانت، فاس، ط 2، 2005، ص: 57–58.

[41] انظر: مفهوم التأويل في القرآن والحديث، فريدة زمرد، ص:40 وما بعدها.

[42] انظر: المفردات للراغب، المقدمة، والميثاق في القرآن الكريم: دراسة مصطلحية وتفسير بنائي".د. محمد الغرضوف وهذا البحث رسالة تقدم بها الباحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة تخصص: "الفكر الإسلامي وحوار الأديان والحضارات" بكلية الآداب، بني ملال، المغرب.

-طبيعة النص القرآني حيث نسقية القرآن الكريم، الذي (أنزل على أحسن نظام وترتيب ومناسبة)(43)، والدرس المصطلحي هو الأقدر على على تفكيك هذه الشبكة المفهومية المترابطة،ومن قواعد العلماء في فهم القرآن الكريم وبيانه: (تفسير بعض القرآن ببعض، وعطف بعضه على بعض، وربط بعضه ببعض)(44).

- طبيعة اللفظ القرآني، حيث اللغة أداة موصلة إلى فهم القرآن الكريم، والألفاظ هي مفاتيح فهم هذه اللغة، وهذا ما نبه عليه الراغب في مقدمة "المفردات"(45). و العلامة الهندي عبد الحميد الفراهي في إحدى مقدمات كتابه "المفردات"[46]. وإلا أدى إلى سوء الفهم وسوء التأويل[47].

-طبيعة المصطلح القرآني إذ يمثل أصل مصطلحات العلوم، ومطبوع بطابع النسقية والنظام فمصطلحاته تتمايز بأضدادها، وتتحدد خصائصها المفهومية من خلال مواقعها من غيرها من المصطلحات، ولا يحاط به علما إلا بوضع الحدود والتعريفات المبينة لسماته وخصائصه[48].

المحور الثاني: قواعد أصولية وإجراءات منهجية

أسس الأصوليون لفهم النص القرآني وقراءته قصد الوصول إلى أحكامه قواعد وقوانين جعلت محمد الطاهر ابن عاشور يعتبرعلم الأصول آلة للمفسرفي استنباط المعاني الشرعية من آياتها[49]، وبما أن التفسير ليس محتوى فقط وإنما سيرورة ووقائع منهجية وفرضيات ومسلمات فقد أطرت عملية التفسير والقراءة عند الأصوليين ثلاث مسلمات كبرى ينبني بعضها على بعض ويغضد بعضها على بعض في تفاعل مثمر.أولى هذه المسلمات مسلمة اللسان وثانيها مسلمة المقاصد وثالثها مسلمة الوحدة.

المبحث الأول: مسلمة اللسان[50]، أي أن الحديث عن عربية القرآن الشاملة أن يسلك به في الاستنباط منه والاستدلال به مسلك كلام العرب في تقرير معانيها

---

[43] انظر: دلائل النظام، للفراهي الدائرة الحميدية، ط: 1، 1388هـ ص28.

[44] انظر: القرآن المجيد، محمد عزة دروزة المكتبة العصرية، صيدا، بيروت (د.ت) ص209.

[45] انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح محمد سيد كيلاني، دارالمعرفة، بيروت.(د.ت)،ص:6.

[46] انظر: المفردات للفراهي، تح محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 2002م، ص: 95 ومابعدها.

[47] المفردات، ص: 51.

[48] انظر: المفردات، ص: 51، والقرآن الكريم والدرس المصطلحي فريدة زمرد.

[49] انظر: التحرير والتنوير محمد الطاهر ابن عاشور 1/ 26.

[50] المقصود باللسان هنا حسب التصور الأصولي، لا حسبب التصور اللغوي الذي يحصره في اللفظة المفردة أو النحوي الذي قصره على الجملة حتى يصبح هذا اللسان قدرة تواصلية تتأبى أن تختزل في قواعد النحو المعروفة،

ومنازعها في أنواع مخاطباتها لسان العرب الذي من دونه تستحيل قراءة النص الالهي وفهمه[51]،وهذا التحاكم إلى حقائق اللغة وموازينها وقوانينها[52] ضابط منهجي يحاصر الانجراف والانحراف إلى كل ما هو خارج عن هذه الأنظمة والقوانين، وحيث إن النص المَعْنِيَّ بالقراءة والتفسير والتأويل هو النص الديني الإسلامي، الذي جاء موصولًا في ألفاظه ومعانيه، بما درج عليه العرب في طرق بيانهم، وملابسات خطابهم، وإن كان مباينًا لما ألفوا من القول، منقطعًا عنه، قال تعالى: " بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ" فينبغي أن يُقرأ بـــ"أجرومية" تناسب لغته، وعلى ضوء معطيات السياق الذي تشكل فيه، وفقًا لمقتضى"طريقة العرب في كلامها" و"معهود خطابها" و"مقاصدها في كلامها" و"أساليب معانيها" و"منوالها في توزيع المعاني على الألفاظ" " لأن أهل اللسان كما يُحتج بهم في "ضبط" بناء الكلام، كذلك يحُحتج بهم في "ضبط" دلالات صيغه وتراكيبه؛ ومن ثم كان من ضوابط القراءة الصحيحة: أن مقاربة أي نص لغوي تستدعي الوقوف على حدود لغته التي تحمل بلاغه، ومعرفة مقاصد أصحابها في كلامهم، وأن يؤول الكلام بما يوافق "معهود الخطاب المتبادَل بين المتكلمين" و"عرف المخاطِب" و"عاداته المطردة" في كلامه؛ فـــ"كل متكلم له عرفٌ في لفظ،إنما يُحمل لفظه على عُرفه"[53] يقول الشافعي: ليس في كتاب الله شيء إلا بلسان العرب[54]، ومن ثم لا يجوز "التهجم" على مراد النص، قبل المعرفة الدقيقة بألفاظه ومعانيه، وإحكام ضبط العلاقات القائمة بينها، وفق علاقات تركيبية، تحكمها أصول اللسان العربي، تلك العلاقات التي جمعها الإمام القرافي(ت:684هــ) فقال في إحصاء وجيز شامل: يحمل اللفظ على: الحقيقة دون المجاز، والعموم دون التخصيص، والإفراد دون الاشتراك، والاستقلال دون الإضمار،وعلى الإطلاق دون التقييد، وعلى التأصيل دون الزيادة،وعلى الترتيب دون التقديم والتأخير، وعلى التأسيس دون

بحيث يعتبر الفعل النحوي قطعة متحفية يعرض للمشاهدة خارج الظروف التي ساهمت في إعطائه الحياة. انظر: القراءة في الخطاب الأصولي يحي رمضان ص120.

[51] انظر: الموافقات للشاطبي تح مشهور آل سلمان دار غفان 1997م 2\49، القراءة في الخطاب الأصولي الاستراتيجية والاجراء يحي رمضان عالم الكتب الحديث ص100.

[52] لقد صاغ القرآن اللغة في بنية هندسية مدهشة بحيث يجب على المفسر: أن يكون على دراية بالمعنى القاموسي للكلمة ومستويات دلالتها المتعددة • معرفة البعد الزماني و المكاني للكلمة (اسم–فعل)• معرفة طاقة الدلالة لكل كلمة (اسم فاعل–اسم مفعول صيغة مبالغة • معرفة علاقة الكلمة بغيرها من المفردات في السياق• لابد من معرفة طاقة شكل الحركة (الكسرة أقوى الحركات ثم الضمة ثم الفتحة ثم السكون• معرفة الإيقاع النظمي والتقديم والتأخير• معرفة علاقة الكلمة بالمشهد أو السياق أو الخلفية في منظومة الآيات. • معرفة علاقة السياقات في القرآن كوحدة متكاملة ولقد التفت علماء السلف إلى هذا المنهج وأسموه تفسير القرآن بالقرآن.
انظر مقال: فيزياء اللغة في القرآن، ياسر أنور،

[53] انظر: معهود العرب في الخطاب، إشكالية قراءة النص الشرعي د. محمد عبد الفتاح الخطيب، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي: "التعامل مع النصوص الشرعية (القرآن والحديث) عند المعاصرين" كلية الشريعة، جامعة الأردن.

[54] انظر: الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي تح أحمد محمد شاكر، دار الفكر ص 42.

التأكيد، وعلى البقاء دون النسخ، وعلى الشرعي دون العقلي، وعلى العرفي دون اللغوي إلا أن يدل دليل على خلاف ذلك"[55]، ولكل من هذه العلاقات دراسة مستفيضة، مبسوطة في كتب الفقه وأصوله، وكتب التفسير وأصوله، وقد رتبوا عليها بعضًا من الضوابط، التي ينبني بعضها على بعض، ويعضد بعضها بعضًا في تفاعل مثمر[56].

وأطروحة الشاطبي حول حصر فهم القرآن المجيد والسنة المطهرة "بمعهود لسان العرب وأساليبهم في التخاطب" في عصر التنـــزيل، وعدم قبول الأفهام المستحدثة بعد ذلك، وكذلك أطروحته حول أمية الشريعة تبعاً لأمية الأمة وعدم جواز فهم معان متعمقة من وراء النص، إن هي إلا رد فعل تجاه التأويلات الفلسفية، والتفسيرات الباطنية، والاعتبارات الرمزية والإشارات التي حفل بها عصره، وبعض العقود التي سبقته. فأراد بموقفه المتصلب ذلك أن يغلق الطريق أمام أصحاب تلك التأويلات، ولذلك كان في مواقفه خاصةً في هاتين القضيتين ما هو جدير بالمناقشة[57]. وقد ناقش ابن عاشور في تفسيره مقولة الإمام الشاطبي مؤكدا أن القرآن لا تنبني معانيه على فهم طائفة واحدة ولكن معانيه تطابق الحقائق، وكل ما كان من الحقيقة في علم من العلوم وكانت الآية لها اعتلاق بذلك. فالحقيقة العلمية مرادة بمقدار ما بلغت إليه أفهام البشر وبمقدار ما ستبلغ إليه. وذلك يختلف باختلاف المقامات ويبني على توفر الفهم، ولا يكون تكلفاً بيناً ولا خروجاً عن المعنى الأصلي حتى لا يكون في ذلك كتفاسير الباطنية[58].صحيح أن حركة اللغة تفرض ثوابت للاستعمال من خلال ثوابت ضمن النسق الدلالي لهذه اللغة حتى لا تكون القضية مزاجية لأهواء المستعمل وتطلعاته[59]، ومن حق القارئ أن يقف على أبعاد في النص لم تكن مدركة في حقبة تاريخية سابقة ولم يزل عنها الغطاء وترك للتفاعل مع الحياة أمر الكشف عنها إذ الدلالات متوالدة[60].

والمنطلق لتحقيق مسلمة اللسان والتحاكم إليها لتحقيق الوحدة[61]، يكون وفق ثلاثة أنظمة وثلاث وحدات وثلاثة مناسيب، أما الثلاثة الأنظمة للغة العربية التي نزل بها القرآن العظيم فهي النظام المعجمي، والنظام التركيبي، والنظام الدلالي، أما

---

[55] انظر: نفائس الأصول، للقرافي986/2

[56] انظر: معهود العرب في الخطاب، إشكالية قراءة النص الشرعي د. محمد عبد الفتاح الخطيب، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي: "التعامل مع النصوص الشرعية (القرآن والحديث) عند المعاصرين" كلية الشريعة، جامعة الأردن.

[57] انظر: لسان القرآن ومستقبل الأمة القطب الدكتور طه جابر العلواني درا الشروق ص 31.

[58] انظر: التحرير والتنوير محمد الطاهر ابن عاشور 44/1.

[59] انظر: النص والتأويل وآفاق حركة الاجتهاد الشيخ محمد حسين فضل الله ص18.

[60] انظر: النص في الاصطلاح الشرعي وإمكانياته التأويلية الشيخ محمد مهدي شمس الدين مجلة المنطلق عدد 117، ص23.

[61] فاللغة تمثل مدخلاً أساسياً لبناء وعي مشترك وثقافة موحدة، والنظر الفلسفي فيما يسمى بالمعنى أو بالمغزى قد تحول –في عالم اليوم– إلى "النظر التحليلي"، أي التحليل اللغوي للنص، والقرآن لم يسم اللغة لغة، بل سماها لساناً لتحصل المقابلة بين الجنان واللسان، انظر: لسان القرآن ومستقبل الأمة القطب الدكتور طه جابر العلواني.

الوحدات فتمثل الوحدة الموضوعية[62]، والمناهج اللغوية، والمفردات القرآنية، وأما المناسيب فهي المنسوب الكمي والمنسوب الدلالي للمصطلح في اللغة والقرآن، ثم الأبعاد التكليفية والحجاجية للقضية المبحوثة.

أولاً: دراسة المفردة القرآنية الخطوات والصعوبات.

من المقاربات المهمة في دراسة القرآن من مدخل بنيته دراسة المفردة القرآنية كأداة لتحليل الخطاب، ضمن ما يسمى بالمركز المفهومي" الذي يدور الخطاب القرآني حوله، و"المحور التركيبي" لكل سورة وللقرآن ككل[63]، والخطوات المنهجية في دراسة دلالة المفردة القرآنية، تتمثل في تحديد الجذر اللغوي لها واشتقاقاته؛ وملاحظة التطور التاريخي لاستخداماتها ودلالاتها المختلفة قبل النزول؛ وملاحظة مدى اختلاف استخدامها داخل النص القرآني ضمن تاريخ النزول (ما بين المكي والمدني)؛ وكذلك ملاحظة مدى استمرارية الاستخدام اللغوي للمفردة داخل النص أو التحول بها إلى معنى اصطلاحي خاص؛ ومن ثم دراستها في سياقها القرآني من خلال تركيب الجمل التي وردت فيها وما حف بها من مفردات أخرى ذات الصلة بها أو بموضوعها؛ ودراسة المفردة في ضوء مقارنتها بالسياقات المختلفة لاستخداماتها ضمن بنية النص القرآني الشاملة، وصعوبات هذا الفعل تكمن في غياب معجم تاريخي للألفاظ العربية، وعدم مراعاة التطور الدلالي في المعاجم المتوفرة، وتداخل المصطلحات القرآنية مع مصطلحات العلوم المتخصصة، ومقاربتها عبر الإحاطة بمعانيها في مدونات علوم التفسير والكلام وغيرهما، فتكون اللغة والاستخدام العلمي التاريخي للمصطلح القرآني بمثابة المدخل لفهم المصطلح القرآني[64].

ثانياً: مدى وجاهة اعتماد اللسانيات الحديثة في معطى النص.

يمكن اعتماد اللسانيات الحديثة الموضوعية كمنهجية لغوية في دراسة المفردة القرآنية والاستفادة منها في الدراسات القرآنية،شريطة أن لا تعكس توجهاً فلسفياً أو لاهوتياً فرضته حيثيات غربية لا تنطبق على السياق العربي بل تتنافى مع رؤية

---

[62] الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم عنوان كتاب أصله أطروحة دكتوراه قدمها محمد محمود حجازي في أصول الدين بالأزهر سنة 1967، وكانت أول دراسة متخصصة تعالج أحد الأسس التي يستند إليها التفسير الموضوعي، وهو مفهوم الوحدة، واستطاع أن يقدم عدداً من الدراسات التطبيقية التي تؤكد مفهوم الوحدة وتدعمه، إن على مستوى القرآن أو على مستوى السورة.

[63] وقد حظي هذا الموضوع باهتمام خاص وتأصيل منهجي في دراسة الأستاذ عبد الرحمن الحاج الذي قدِّم كأطروحة متميزة بعنوان: "دلالة المفردة القرآنية:دراسة لسانية أصولية مقارنة" رسالة ماجستير نوقشت في كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية في بيروت، 2006.

[64] انظر: طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، ط:1 مكتبة الشروق – القاهرة 2006،ص14.

المسلم للنص القرآني باعتباره وحيٍ ورسالة من الله، كالبرامج التأويلية التي ألغت كل علاقة للنص بمؤلفه[65] بينما تَصورُ النص القرآني على أنه رسالة من الله لا يمكن أن يتجاهل المرسل، كما لا يمكن اعتباره غير منضبط المعنى وإلا لم يعد لمفهوم الرسالة معنى، والإيمان بكونه وحياً من الله يجعله نصاً متميزاً عن غيره فله خصوصيته اللغوية وبنيته المحكمة التي ينبغي اكتشافها، وهذا الاحتراز لا يعني بالمقابل حرفية الدلالة القرآنية وسهولتها وانتفاء احتمالية المعنى وتعدد الأوجه[66].

ثالثاً: مؤشرات المصطلح الإسلامي " المفهوم والبناء".

1- المفهوم

أي مصطلح يراد منه أن يكون مفهوما[67] إسلاميا يجب عليه أن يخضع لأسس مرجعية تقوم إسلاميته ومدى انسجامه أو انطباق هذه الأسس عليه، وه ي الربانية والوسطية والواقعية والإنسانية والشمول، فتتحدد بها هوية المصطلح؛ إلى جانب إبراز خاصية التوحيدية في مفاهيمنا الإسلامية، فتوحيد المفاهيم بإخضاعها للأسس المرجعية الكلية ضرورة منهجية، وضرورة فكرية في تأسيس خطابنا الإسلامي على المستوى الثقافي أو البناء الحضاري.[68].

2- البناء

ثلاثة عناصر أساسية[69] هي بمثابة مؤشرات لبناء المفهوم الإسلامي أو اختبار صلاحيته كمفهوم وهي:

(أ)-المنسوب الكمي للمصطلح في اللغة والقرآن.

---

[65] أي التي تقدس النص حينا والقارئ حينا آخر داعية إلى موت المؤلف،ثم إلى موت النص ذاته لكي لا يبقى في نهاية المطاف غير رغبات القارئ ونزواته فموت المؤلف والنص حياة للقارئ الذي إلى تحول إلى صنم يعبد، وتعتبر المعنى فضفاضاً ومفتوحاً، والمتلقي هو مصدر المعنى. وقد أدى هذا المنحى التأويلي إلى عدِّ القرآن مصدراً رمزياً تستند إليه كل فرقة في دفاعها عن أ فكارها وتصوراتها حتى ظهرت في تراثنا آراء عدمية تؤكد قبول النصّ لكل التأويلات، ليس فقط المتقاربة بل وحتى المتناقضة منها انظر: القراءة في الخطاب الأصولي يحي رمضان ص 199.

[66] من التجارب الناجحة في استثمار اللسانيات المعاصرة بطريقة منهجية تجمع بين الأصالة والمعاصرة في دراسة القرآن الكريم هي تجربة إيزوتسو هي منهجية استثمرت علوم اللغة القديمة والحديثة بطريقة أمينة لا تستهدف التوظيف الاستشراقي المعهود، إنما قادت دراسته إلى نتائج محكمة تؤكد تماسك القرآن وانسجام بنيته، وفهم معانيه واكتشاف جوانب جديدة من إعجازه، ومربط الإبداع في عمله الانطلاق من بنية القرآن كمدخل للقراءة، انظر: بنية القرآن كمدخل لإعادة القراءة عبد الرحمن حللي.

[67] للتفريق بين المصطلح والمفهوم انظر: النبوة ومفاهيم القرآن طه جابرالعلواني، حيث فرق تفريقا دقيقا بينهما في السياق الفلسفي والمنطقي واللغوي .

[68] انظر: "الميثاق في القرآن الكريم: دراسة مصطلحية وتفسير بنائي.د. محمد الغرضوف.

[69] هذه العناصر الثلاثة بعناوينها اقتبست من مقال الميثاق في القرآن الكريم: دراسة مصطلحية وتفسير بنائي.د. محمد الغرضوف.

وهو مؤشر يرصد أهمية هذا المصطلح وحجم وروده مما يعكس حجم حضوره في سياق التداول المفاهيمي للمصطلحات في القرآن الكريم، وقبله في اللسان العربي، وبناء علاقة المصطلح بأسرته المفهومية، ورصد جوانب الخصوص والعموم من خلال التتبع والاستقراء لهذه الكلمة ومشتقاتها واستنباط دلالاتها من خلال استعمال القرآن الكريم لها[70]"فله أصوله الجامعة وقواعده الحاكمة التي لا تعلم إلا بالاستقراء الكلي للألفاظ والدلالات لتصبح حكما في تقرير القضايا[71]، مما يجعله وفيا للبنية الداخلية للنص المفسرِّ. والفروق المعنوية بين الألفاظ التي يظن ترادفها، وتكامل في جوانب، واستقلال في جوانب أخرى[72]، فالقرآن يختص بنظام مفاهيمي يتجاوز المفاهيم الفردية، واستخدامها قبل الإسلام، كونه أعاد استخدامها وأضفى عليها قيماً جديدة من خلال سياقها القرآني[73]، وهو انقلاب في مضامين ودلالة الألفاظ العربية التي حملت دلالة غير معهودة عند العربي الذي استعمل الألفاظ حسب سقفه المعرفي، وهو ما يشكل جوهر الإعجاز[74].

(ب)-المنسوب الدلالي للمصطلح في اللغة والقرآن.

وهو مؤشر يرصد من خلال شبكة الدلالات اللغوية المعجمية، وشبكة الدلالات التفسيرية المستأنس بها في هذا الإطار، وإعمال نظرية السياق في الدلالات القرآنية سواء السياق العام أي: الموضوع العام للسورة وما تعالجه من قضايا أو السياق الخاص أو التداول الجزئي للآيات في فقراتها الموضوعية، وهنا يحضر التفسير البنائي بوجهيه التفكيكي والتركيبي كمنهج فاعل في إبراز واستخلاص مؤشر هذا المنسوب الدلالي[75].

(ج)-الأبعاد التكليفية والحجاجية للقضية المبحوثة.

يعكس فصل "ضمائم المصطلح" أبعادا تكليفية وحجاجية، تشكل في الحقيقة وجها عمليا لهذا المفهوم في حركة الإنسان (المكلف) أو الإنسان (المُحَاجَج) في هذه

---

[70] بمعنى استقراء زائد على استقراء اللغوي انظر: الإبهاج في شرح المنهاج للسبكي وولده دار الكتب العلمية ط 1/ 1984، 1| 7، والقراءة في الخطاب الأصولي يحي رمضان ص 103.

[71] انظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي د. عبد الستار فتح الله سعيد ص 52.

[72] انظر: انظر: – مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ص 23، دار القلم، دمشق، ط 1989م، ومقدمة في المنهج، عائشة بنت الشاطئ، معهد البحوث والدراسات الأدبية، ط 1971م.ص: 130، وما بعدها، وهو المشروع الذي يعمل على تحقيقه معهد الدراسات المصطلحية الذي يرعى هذه الدراسات، والميثاق في القرآن الكريم: دراسة مصطلحية وتفسير بنائي.د. محمد الغرضوف، تفسير القرآن من التوجيه المذهبي إلى المدخل المصطلحي فريدة زمرد، ونحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة للشاهد البوشيخي، أنفو برانت، فاس، 2001، ص: 2، م، ومفهوم التأويل في القرآن والحديث، فريدة زمرد، أنفو برانت، فاس، ط 2، 2005، ص: 57–58.

[73] انظر: المرجع نفسه.

[74] انظر:المفاهيم القرآنية وبناء الإنسان، إبراهيم أصبان.

[75] انظر: الميثاق في القرآن الكريم: دراسة مصطلحية وتفسير بنائي.د. محمد الغرضوف.

الدنيا[76]،بمعنى لابد من ضرورة توجيه الدرس البياني في القرآن من مجرد بيان الإعجاز البياني أو الجمالي إلى إدراك البعد التشريعي التكليفي من خلال تفكيك هذه الخصوصيات البيانية واللغوية واستخلاص مقاصدها لاستنباط الحكم الشرعي المراد تبليغه من خلال هذه التراكيب[77].

رابعاً: البنية اللغوية والبنية الاجتماعية(جدلية المعنى والتاريخ).

اللسان العربي بمفهومه الواسع يتضمن المعهود ويعطيه طابعه اللغوي [78] بينما يعطي المعهود للسان طابعه الاجتماعي باعتباره أداة للتواصل في إطار جماعة اجتماعية مغينة[79]، إذ الخطاب لا بد له من سياق، والسياق في الواقع نوعان، سياق لورود الخطاب، وسياق لتلقيه، ولكل منهما دوره في التأثير على فهم الخطاب80، وهذا التأسيس والتوازي بين الأنساق اللغوية والعرف الاجتماعي هو ما تشتغل عليه التداولية كمنهج تحليلي لإيضاح السمات المشتركة والمقربة بين البنيتين[81]، وتعدد البنى اللغوية للنص من التعبير والتركيب، هو مؤشر على تعدد القراء وتعدد القراءات، وبإدراك حركية الزمان وسلطته المعرفية كان الاجتهاد مدخلاً من مداخل إلحاق الوقائع الحادثة بالوقائع الثابتة نصاً، بتحليل تأويلي، أساسه التحليل اللغوي لنسق الخطاب النصي[82]، ولا يعني المنهج الواقعي [83] في قراءة وفهم النص الديني أن يقع في مشكلة التعامل مع النص كمتشكّل واقعي [84]،

---

[76] انظر: المرجع نفسه.

[77] انظر: "الميثاق في القرآن الكريم: دراسة مصطلحية وتفسير بنائي.د. محمد الغرضوف.

[78] بل اختيارات اللغة لا تشرح بمعزل عن سائر اختيارات الحياة. انظر اللغة والتفسير والتواصل مصطفى ناصف ص 234.

[79] انظر: القراءة في الخطاب الأصولي يحي رمضان ص110-111.

[80] انظر: انظر: عبد الرحمن حللي، الأسماء والكلمات:دراسة مفاهيمية قرآنية، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، العدد:19، السنة العاشرة، فبراير 2006م. والكتاب:دراسة مفاهيمية قرآنية، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، العدد:21، الجلد الحادي عشر،2، والقرآن.. من تفسير النص إلى تحليل الخطاب، عبد الرحمن الحاج.

[81] انظر: الخطاب والدلالة قراءة في تأويل النص القرآني د.منقور عبد الجليل

[82] المرجع نفسه .

[83] من صور التعبد الفعلي بالقرآن الكريم تنزيل مفاهيمه على الحياة العملية وتتبع أبعاده في الواقع المعاش بكيفية إيجابية تجمع بين التماثل النموذجي والمعالجة الذكية المفعمة بالفقه العميق للمفاهيم والمصطلحات في حديها القرآني والواقعي، ...وإدراك هذه "المعاصرة"القرآنية لا يحتاج إلى التكلف والتأويل البعيد و لا الوقوف عند ظواهرها ورسومها وانما يحتاج الى التدبر المنهجي ولعل هذا هو المعنى الذي يشير إليه قول الله تعالى"وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون"، فكل الناس يقرؤون المثال أو يرونه لكن أصحاب العلم هم وحدهم الذين يتعاملون معه التعامل الإيجابي المثمر، انظر: الأبعاد الواقعية للنماذج القرآنية، عبد العزيز كحيل.

[84] النص الديني يحرز كينونته الواقعية من استجابته الفعلية لمتطلبات الواقع و حركته اليومية, فهو متشكّل واقعي, ولعلّ نزوله التّدريجي إنما كان تعبيرا عن محاكاة للواقع ومعايشة لأوضاعه وقضاياه، وتدلّ على ذلك عدّة آيات وسور كريمة , كان الجواب القرآني فيها إثر حركة للسؤال في سياق الواقع {يسألونك عن الخمر والميسر قل..} و {يسألونك عن الساعة قل..} و {يسألونك عن الروح قل...} و {يسألونك عن ذي القرنين..}، وأيضا لمعالجة قضايا تتحرّك في أرض الواقع: {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها..} و {غفر الله لك لم أذنت لهم..} و {يا أيها النبي لم تحرّم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك..} فنلمس من كلّ ذلك متابعة تفصيلية لحيثيات واقعية، وهناك جهة تمايز وتغاير بين النص الديني وغيره من النصوص , تفرضها رسالية النص الديني وهدفية الوحي المتمثلة في إرادة صياغة الإنسان وبنائه وفق منظور متكامل و منسجم ألا وهو المنظور الرباني لعملية البناء الإنساني بل والكوني أيضا، فالنصّ الديني يتبدّى من هذه الجهة

وغيّب في إطار هذا المنهج , الجانب الرسالي في النص الديني, كهدف (إخراج الناس من الظلمات إلى النور), وهو هدف يفرض على النّص أن يتمايز مع الواقع المظلم وأن يتسلّح بخصوصيات تنويرية تحقق تلك الغاية الوجودية من وراء النص الديني[85]، والحقيقة المكنونة في القرآن الكريم تتكشف جوانبها ودلالاتها مع العصور وفقاً لارتفاع السقف المعرفي للأمم وامتدادها الثقافي. على ذلك يكون النص ثابتاً وأفهام الناس هي التي تتغير ويكون النص متبوعاً ولكن فهمه تابع للوعي الجمعي[86]. وفي الشريعة المنزّلة بعدين متفاعلين: البعد العالمي الإنساني والبعد الخصوصي التاريخي. ملاحظة هذين البعدين اللذين يجعلان الأحكام الشرعية قائمة على امتزاج بين خصوصية ظروف الأمة التي نزلت فيها واتساع لِما تحتاجه الإنسانيّة في حياتها الاجتماعية، هذه الملاحظة ليست إلاّ ترسيخاً للقطع مع الفهم الوحيد للنص وتسويغاً لاعتماد مجالات معرفية أوسع عند التفسير ، ومن هذه الرؤية نستشف قول الرسول (صلى الله عليه وسلّم) في القرآن المجيد بأنه: «حبل الله المتين والنور المبين والصراط المستقيم لا تنقضي عجائبه ولا تشبع منه العلماء ولا يخْلُق من كثرة الردّ87»، ولا تناقضَ بين القول إن دلالات النص القرآني لا تنحصر في زمان أو مكان وبين اعتبار أن النص وثيق الارتباط بالقرن السابع في الجزيرة العربية. فهو فاتحة لتطبيقات تحقّقُ علاقةً بين الواقع والمعنى.

المبحث الثاني: مسلَمة المقاصد[88]

حيث تبدو واضحة في هذا التفسير الموضوعي الذي عرف بأنه علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال صورة أو أكثر حسب علل النصوص وهداياتها العامة ودلالاتها، ولذا فمن الطبيعي أن تهتم الفاعليات الإسلامية التي اشتغلت بالنص القرآني بمحاولة إدراك مقاصد صاحب الرسالة فمارستها تطبيقا وتفصيلا[89] كما هو الحال في المدرسة الفقهية أو تنظيرا وتأصيلا[90] كما هو الشأن عند الأصوليين الذين سعوا إلى تأسيس الأداة وبناء الوسيلة التي تخدمهم في قراءة النص القرآني، واستنباط أحكامه ولا سيما حين يغيب الدليل النصي المباشر، تلك

مشكّلا واقعيا , وليس فقط متشكّلا واقعيا , وبوصفه المتشكّل المشكّل جمع بين عنصري الموافقة والمخالفة للواقع , المعانقة والمفارقة له. انظر: مدرسة التفسير الحديثة: تأملات ووجهة نظر بقلم : عبد الله هداري بتصرف.

[85] انظر مقال: قراءة في المنهج الديني لإحكام الفهم الديني، السيد عصام احميدان الحسني.

[86] انظر مقال : في علاقة المفسِّر بالنصّ : وجوه تجديد مناهج التفسير القرآني، احميدة النيفر

[87] انظر: المستدرك على الصحيحين 741/1 برقم2040، وشعب الإيمان أبو بكر البيهقي دار الكتب العلمية - بيروت ط1410/1تح محمد السعيد بسيوني زغلول342/2،1933.

[88] قرر الشاطبي المقاصد مسلمة بقوله ولنقدم قبل الشروع في المطلوب مقدمة كلامية مسلمة في هذا الموضع: وهي أن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل وعلى الإطلاق والعموم.انظر: الموافقات 98/1، 9/2.

[89] انظر : نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي د. أحمد الريسوني دار الأمان الرباط ط1/ 1991، ص 23.

[90] المرجع نفسه ص 23.

الغاية المنهجية هي التي دعت الأصوليين إلى اعتبار المقاصد وألزمتهم الفهم اعتمادا عليها[91]، بما يكفل لنا الحفاظ على مصداقية الإسلام وصلاحه لكل زمان ومكان، ووفائه لمقتضيات العصر وذلك بالمنهجية المتكاملة التي وضعها الأصوليون لحكم مسار الاجتهاد والتجديد لا كما يريده تيار التحديث والتفلت والتلويث[92].

أولاً: أقسام المقاصد وتنقسم المقاصد إلى:

1-المقاصد الكلية الأصلية.

ووهي التي لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا[93]، وتكون الأمة بمجموعها وآحادها في ضرورة إلى تحصيلها، وبافتقادها وانخرامها تؤول حالة الأمة إلى فساد وتهلاش[94]، فالقرآن كتاب شامل ومنهاج حياة متكامل وله مهمة واقعية مطردة وطبيعية حركية حيَّة ورسالة حضارية عاملة ووجود وتأثير مستمرين إلى ان يرث الله الأرض[95].

2-المقاصد الجزئية الفرعية.

وهي المقاصد الفردية الجزئية في مقابل مقاصد الأمة بمنى إدراك الأبعاد الفردية والجماعية لمقررات الدين من أجل وضع الأنصبة في أماكنها بما لا يؤدي إلى اختلال يفسد سير الحياة على وزان واطمئنان ولذا قيل المقاصد الضرورية في الشريعة أصلا للحاجية والتحسينية[96].

3 ضبط النسب بين الأصلية والفرعية.

بمعنى إدراك العلاقة بين المقاصد الكلية والجزئية وتقديم الأولى والأهم ولذا فإن العلاقة بين شمولية وكونية واستيعابية الخطاب الإلهي وبين محلية وجزئية الفهم والتنزيل البشري تستوجب إعادة النظر في جملة من المفاهيم والمصطلحات وحتى التفسيرات التي استعملت قديما وتستعمل حديثا والتركيز في المسألة العلمية على معيار الأمة كإطار عام في التفكير والتأثير وهو نوع من التأسيس والتنظير الجماعي الاجتماعي ومقاصده والتعليل المرافق له[97].

ثانياً: إشكالية معرفة المقاصد

---

[91] انظر: القراءة في الخطاب الأصولي ص 158.

[92] انظر: المدخل المقاصدي والمقاربة العلمانية: نصوص الوحي أحمد الطعان، وهو مقال استقصى فيه أطروحات العلمانيين ورد عليها ولمزيد من الفائدة يمكن الرجوع إليه على شبكة النت موسوعة دهشة.

[93] انظر: الموافقات 7/2.

[94] انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية محمد الطاهر بن عاشور الشركة التونسية للتوزيع ط1988/3، ص8، 79.

[95] انظر: مفاتيح للتعامل مع القرآن د. صلاح عبد الفتاح الخالدي دار القلم دمشق ط2002/2م ص 73.

[96] انظر: الموافقات للشاطبي 13/2.

[97] انظر: الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر دراسة في الأسس المرجعية والمنهجية سعيد شبار المعهد العالمي للفكر الاسلامي ط2007/1م ص11-13.

للكشف عن المقاصد ومعرفتها أهمية قصوى عند القائلين بها وإلا يصبح من العبث الحديث عن أية مقاصد للمتكلم ومن ثم يتهدم الأساس الذي تقوم عليه كل الاتجاهات التي تقوم على المقاصد، وقد تجاذبت هذه الاشكالية ثلاثة برامج، الأول: اعتبر اتباع ظواهر القرآن على غير تدبر ولا نظر في مقاصده ومعاقده والقطع بالحكم به ببادئ الرأي والنظر الأول ورأو أنه الطريق اليقيني الذي يوصلهم لمراد الشارع وحاصل هذا الرأي الحمل على الظاهر مطلقاً[98] بمعنى النظر في السطح اللغوي لا غير[99]،الثاني: صرف الفهم عن الظواهر إلى أن لها بواطن ولا يفهمها كل الناس[100] أو أن المقاصد في معاني الألفاظ فوجب الالتفات إليها[101] والثالث: يختلف عن الأمرين هو برنامج الانسجام الذي لا يكون فيه ميل لصالح النص الظاهر السطح اللغوي، على حساب معاني القارئ[102]، واعتبر الشاطبي طرق الوصول إلى المقاصد أربعة: مجرد الأمر والنهي الابتدائي التصريحي، ثانيا اعتبار علل الأمر والنهي، ثالثا المقاصد الأصلية والمقاصد التابعة، رابعا سكوت الشارع[103]. إن مقاصد الشارع تنبثق من خلال النص وتنطلق منه وليس من خارجه، وعبر تفاعل القارئ مع هذا النص اعتمادا على ما يحمل هذا القارئ ويمتلك من موسوعة ثقافية تجسد محتوى اللسان في جدله مع محيطه الخارجي وانضابطا لمقاصد النص الكلية المستخرجة من هذا الخطاب ذاته، إنه حوار للقارئ مع النص يحدده اللسان وتثريه معرفة القارئ وتضبطه مقاصد النص الكلية التي استخلصها القارئ ذاته عبر الاستقراء. إنه تفاعل بين النص والقارئ توجهه عقدة وميثاق أرسى النص أركانها ضمن مسلك الفهم والافهام[104].

ثالثاً: المعاصرون والمقاصد بين إزراء الشافعي وإطراء الشاطبي.

يحاول بعض الكتاب المعاصرين استلاب نظرية المقاصد الشرعية في النظر إلى النصوص للوصول إلى حالة المواءمة والتوافق بين متطلبات العصر ومقتضيات النص في حالة تبدو أقرب إلى الفوضى والتشهي، حيث أخذوا على الأصوليين بداء من الشافعي إلى الغزالي اهتمامهم الشديد بالمباحث اللغوية والمسائل النحوية،

---

[98] انظر: الموافقات 129/4، والقراءة في الخطاب الأصولي يحي رمضان ص188-189.
[99] المرجع نفسه ص189.
[100] انظر: الاعتصام للشاطبي 321/1.
[101] انظر: الموافقات 297/2.
[102] انظر: القراءة في الخطاب الأصولي ص192 وما بعدها.
[103] المرجع السابق ص 197.
[104] انظر: الموافقات 65/2، والقراءة في الخطاب الأصولي ص 205.

وإغفالهم عن المقاصد الشرعية[105]، وطلب المعاني من الألفاظ[106]، فشغلتهم المسائل اللغوية عن المقاصد الشرعية، والجزئيات على حساب الكليات[107]، ووُصِم الشافعي بأنه مكرس " الإيديولوجية العربية في سياق الصراع الشعوبي الفكري والثقافي"[108]، وأصّل بذلك لهيمنة الدين والعقيدة على كل مجالات الحياة[109]، ومنهجه الأصولي أدى إلى توسيع مجال النصوص لتضييق مجال الاجتهاد العقلي[110]، وهذا يمثل مأزق منهجي لا عهد للأسلاف به[111]، والبديل لديهم هو مقاصد الشريعة التي دشنها الشاطبي وأطروه على غيره من الأصوليين[112]، واعتبروها حاكمة على الوسائل[113]، وأن العبرة ليست بخصوص السبب ولا بعموم اللفظ وإنما بالمقاصد[114]، بل قالوا بأن مقاصد الشريعة الشاطبية تقدم المصلحة على النص[115] بينما الشاطبي كان يبني على أسس وقواعد السلف والأصولين والعلماء قبله، كالجويني والغزالي والرازي والعز بن عبد السلام والقرافي[116] متخذاً مراد الشارع قصده، لا مقاصد النفس، ومرادات العقول، والمقاصد مبدأ أصولي له ضوابطه ومعاييره التي تحكمه وتحديدها لا ينبني على ظنون وتخمينات غير مطردة[117]. ولذلك فإن توظيف المقاصد دون ضوابط أو معايير ما هو إلا وسيلة لهدم الشريعة، وإقصاء القرآن الكريم عن القيادة

---

[105] انظر : بنية العقل العربي، محمد عابد الجابري ص 37، 63، والخطاب النهضوي، مبروكة الشريف جبريل ص 311 .

[106] المرجع السابق ص 547

[107] انظر: بنية العقل " الجابري ص 58،562.

[108] انظر: الإمام الشافعي وتأسيس الإيديولوجية الوسطية، عنوان كتاب نصر حامد أبو زيد – دار سينا – القاهرة ص 26،27، 29 – طبعة القاهرة 1992، التفسير الماركسي للإسلام، محمد عمارة ص91.

[109] انظر: النص السلطة، الحقيقة " نصر حامد أبو زيد ص 212 .

[110] انظر: الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجيا الوسطية، أبو زيد ص 68 " نقض كتاب نصر حامد ودحض شبهاته، رفعت فوزي عبد المطلب ص 110، " ومعالم الإسلام، للعشماوي ص 153، 155، 109، وسقوط الغلو العلماني، الدكتور محمد عمارة ص 105، وتاريخية الفكر أركون، ص 297،والقرآن والتشريع، الصادق بلعيد ص11،276.

[111] انظر : لبنات عبد المجيد الشرفي ص 143 .

[112] انظر: بنية العقل، الجابري ص538، وتاريخية الفكر، أركون ص170، والنص القرآني، طيب تيزيني ص422، والخطاب والتأويل، نصر حامد أبو زيد، ص201، والاجتهاد النص الواقع المصلحة، محمد جمال باروت، ص112.

[113] انظر: الاجتهاد النص الواقع المصلحة، محمد جمال باروت ص112.

[114] انظر: الإسلام بين الرسالة والتاريخ، عبد المجيد الشرفي ص 80 .

[115] انظر: مبحث التأويل في الفكر العربي المعاصر نصر حامد نموذجاً، آسيا المخلبي، ص54. جامعة نواكشوط – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – قسم الفلسفة – بحث لنيل الشهادة المتريز في الفلسفة 1994، 1995م .

[116] انظر: الموافقات للشاطبي2623/1، دار المعرفة – بيروت –ط1 / 1415 هــ 1994م تحقيق د . عبد الله دراز،ونظرية المقاصد أحمد الريسوني ص 253 257

[117] انظر هذه الضوابط في الموافقات،80/1،266،268،299،300، 301، 427/2،429، 455، 457، 469، 585،586، ونظرية المقاصد للريسوني ص275، 277.

والمرجعية، وتبرير للحلول التي تمليها المناهج الحديثة، وتمرير للقيم التي تتطلبها المعقولية الحديثة[118].

المبحث الثالث: مسلمة الوحدة والانسجام.

وتعني نفي التعضية والتشظي التي أخذت في مناهج الإفتاء والبحث على هيئة استدلالات طلبية وقضايا مشخصة سلفاً، أثرت على الوحدة البنائية للقضايا في القرآن الكريم وتشتمل على المفردات التالية:

أولاً: السياق

القرآن المجيد بمثابة الكلمة أوالجملة أو الآية الواحدة.بحيث لا يقبل بناؤه وإحكام آياته التعدّد فيه أو التجزئة في آياته، أوالتعضية، ولا يستقيم معنى الآية ويتضح ما لم تقرأ في سياقها وموقعها وبيئتها و بإدراك سائر العلاقات بين الآية والقرآن كله[119]، وهو ما أكده الشاطبي[120]، من المتقدمين ومحمد عبد الله دراز من المتأخرين[121]. فتأويل النص المتشابه ليس في مستواه اللفظي المفرداتي، وإنما في مستواه التركيبي السياقي[122]، والكلمة في هذا السياق الجديد تشهد ولادة كلمة جديدة، وهو ما يعبر عنه اللسانيون بالمحور الرأسي/الاستبدالي ويقصدون به العلاقة بين الكلمة المذكورة وكل ما يمت إليها بصلة لفظية أو معنوية من كلمات لم تذكر في النص، وهذا المعنى يجد جذوره في البلاغة العربية عند أصحاب نظرية النظم واصطلاحاتهم (اللفظ الحامل والمعنى القائم والرباط الناظم) أو علاقات الجوار وعلاقات الاختيار[123]، والقرآن يستبطن قاموسه في بنيته الخاصة وله حقله الدلالي الخاص، أما الشعر العربي فلا تتم الاستعانة به إلا لمعرفة الدلالة الأصلية للكلمة أما الدلالة النهائية فإن السياق هو الذي يحددها.. ولذلك لا بد من الرجوع إلى البناء النسقي للقرآن الكريم لتحديد دلالات الكلمات

---

[118] انظر : استخدام المناهج الحديثة في دراسة الإسلام قراءة في كتاب الإسلام بين الرسالة والتاريخ لعبد المجيد الشرفي، عبد الرحمن حللي مجلة الحياة الثقافية – ص 46 عدد 129 السنة 26 نوفمبر 2001 تونس.

[119] انظر: طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، ط:1 مكتبة الشروق – القاهرة 2006،ص14، 18، بنية القرآن كمدخل لإعادة القراءة عبد الرحمن حللي.

[120] يقدم الإمام الشاطبي نموذجاً للوحدة الموضوعية للسورة من خلال سورة المؤمنين التي يراها نازلة في قضية واحدة هي موضوع المكيات من السور، والتي ترجع معانيها إلى أصل واحد هو الدعاء على عبادة الله، انظر: الموافقات:416/4 وما بعدها.

[121] يستند الدكتور محمد عبد الله دراز إلى الشاطبي في القول بوحدة السورة، ويطبق ذلك على سورة البقرة تحت عنوان (نظام المعاني في سورة البقرة) ضمن كتابه: النبأ العظيم، ط: دار القلم – الكويت1970 ص 163.

[122] انظر: الخطاب والدلالة قراءة في تأويل النص القرآني د.منقور عبد الجليل.

[123] انظر: النبوة والقرآن طه العلواني، ومن أهم من كتب في هذا الموضوع المستشرق الياباني (توشيكو إيزوتسو) Toshihiko Izutsu. منتصف القرن الماضي بعنوان (بنية المصطلحات الأخلاقية في القرآن)، و(الله والإنسان في القرآن: دراسة دلالية لنظرة القرآن إلى العالم) في الستينات (1964)، وقد ترجم الكتاب إلى العربية ترجمتين، ترجمة علي عيسى العاكوب، صدرت عن دار الملتقى بحلب، 2007، وترجمة هلال محمد الجهاد، صدرت عن المنظمة العربية للترجمة بلبنان، 2007، والقرآن والتفسير العصري، عائشة بنت الشاطئ، مكتبة المعارف، مصر، 1970.ص 30،

التي بها يبنى الإنسان[124]، وقد نبه بعض العلماء إلى أهمية دلالة السياق حيث تعصم من الجهل والخطأ، وتؤدي للوضوح، قال الزركشي: دلالة السياق أنكرها بعضهم, ومن جهل شيئا أنكره، وقال بعضهم: إنها متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى وقال الشيخ عز الدين في كتاب الإمام": السياق يرشد إلى تبيين المجملات, وترجيح المحتملات, وتقرير الواضحات. وكل ذلك بعرف الاستعمال، وقال ابن تيمية رحمه الله قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به[125]،والمنهج السياقي ببعديه: البُعد اللغوي الداخلي والبُعد المقامي الخارجي، يقدم بين يدي فهم النص الشرعي نسقًا من العناصر التي تقوي طريق فهمه وتفسيره والاستنباط منه، وللسياق أنواع كثيرة منها:

– السياق المكاني: ويعني سياق الآية أو الآيات داخل السورة وموقعها بين السابق واللاحق.

– السياق الزماني للآيات، أو سياق التنزيل، ويعني سياق الآية بين الآيات بحسب النزول.

– السياق الموضوعي، ومعناه دراسة الآية أو الآيات التي يجمعها موضوع واحد.

– السياق المقاصدي، ومعناه النظر إلى الآيات القرآنية من خلال مقاصد القرآن الكريم والرؤية القرآنية العامة للموضوع المعالج.

– السياق التاريخي، بمعنييه العام والخاص، فالعام هو سياق الأحاديث التاريخية القديمة التي حكاها القرآن الكريم، والمعاصرة لزمن التنزيل، والخاص هو أسباب النزول.

– السياق اللغوي، وهو دراسة النص القرآني من خلال علاقات ألفاظه، وما يترتب على هذه العلائق من دلالات جزئية وكلية.

وينبغي تحكيم كل هذه الأنواع من السياق عند إرادة دراسة النص القرآني بمنهج سياقي متكامل[126]، للتمييز بين استعمالات الكلمة في سياقات مختلفة لأن لكل

---

[124] انظر: دراسة حول المفاهيم القرآنية وبناء الإنسان إبراهيم أصبان.

[125] هذه النقولات وغيرها ذكرها الدكتور حسين الحربي في رسالته الدكتوراه وهي بعنوان (قواعد الترجيح عند المفسرين) ومنها الترجيح بالسياق من ص121 وما بعدها.

[126] انظر: أثر السياق في فهم النص القرآني, د. عبد الرحمن بو درع، بحث ضمن مجلة «الإحياء» تصدرها الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، عدد25، جمادى الثانية 1428هـ/ يوليو2007م، من ص72: ص84.

سياق بنية تركيبية ودلالية وقرائن تضبط الأمر وليست الدلالة معطى مسبقا بمعزل عن السياق والاستعمال[127].

---

[127] الدلالات لا تعرف للكلمة وهي راقدة في عالم البرزخ" المعاجم" بل وهي شاخصة في عالم الشهود والسياقات اللفظية التي تتلبس العبارة وتكتنفها على وضع معين ومقاد أدائي محدد كل محدد كل ذلك هو النافخ في الصور فيبعث تلك الكلمات من أجداثها. انظر: دلالة الألفاظ عند عند الأصوليين دراسة بيانية ناقدة د. محمود توفيق محمد سعيد مطبعة الأمانة 1987م ص 3،"والتداولية عند العرب، مسعود صحراوي، له اهتمام خاص بالنظريات السياقية عند المسلمين، ومقال كيف يفهم صاحب العالمية الثانية لغة القرآن؟ مسعود صحراوي بتصرف .

ثانياً: جدل اللفظ والمعنى.

قضت العقول السليمة بأن أحسن التعريفات لما في القلوب هو الألفاظ "[128]، فاللفظ من جهة التواضع خاص وعام ومشترك، وهناك آليات لغوية ومنطقية وفلسفية المتباينة في الملاحظة والمقايسة والاستنتاج[129]، وفي حالة مقاربة علاقة اللفظ بالمعنى من جهة السياق فإننا نصير إلى القول بثنائية الحقيقة والمجاز، أما الحقيقة فهي عند السكاكي " الكلمة المستعملة فيما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة "[130]، وهي عند الجرجاني " كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع[131]، فللسكاكي يشير للقيم الاستعماليّة وأثرها في وسم لفظة ما وسما دلاليّا، فالأولويّة في هذا السياق وليس إلى المواضعة، ولما كانت قيم الاستعمال تخضع للتطوّر والتغيّر حسب ما تقتضيه أطوار اللغة في نشوئها وانتشارها واستمرارها، فإن اللغة في ذاتها ــ نشأة واستعمالا ــ مرتبطة ارتباطا ضروريا بالعمران البشري ومقتضياته المتجددة على الدوام[132]، فللعلاقة بين اللفظ والمعنى تخرج في كثير من الأحيان عن شروط التحيّز والحصر لتجتاز إلى قيم استعماليّة شديدة الصلة بمقتضيات البيئة الثقافية والمحمولات النفسية التي تنفك من التقييد بحكم تداخل التجربتين الفرديّة والجماعيّة في تشكيلها، والتنازع الدلالي أمر تفرضه اللغة ويقتضيه عدم المناسبة بين اللفظ والمعنى[133]، فكل تغليب لمعنى على آخر أمر مر جوح، للأدلة فيه دور بحسب ما اقتضته أعراف الاستعمال ورسخته قيم التداول كما للفهم فيه دور بحسب ما أملته شروط البيئة الثقافية ومقتضيات العمران، فإن كان توحيد الاستعمال ممكنا فإن تنميط الفهم أمر متعذر[134]، باعتبار التباين في الحيثيات الخارجية المتحكمة في التعامل مع اللغة[135]، والتأويل من مقتضيات اللغة في جريانها بين العبارة والمقصد وقد انتبه البلاغيون إلى هذه الخاصيّة بجلاء[136]، والنص ــ بحكم أنه مكون لغوي ــ لا يقوم على أداء المعنى في كليّته أداء مباشرا وهو في ذلك لا يقطع مع خصائص اللغة العربية وأنظمتها وقوانينها كما لا يقطع

---

[128] انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي المطبعة البهيّة المصريّة، 1938، ج1ص 25.

[129] انظر: الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى، 1985، ج1 ص 18، و ابن سينا : النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعيّة، تحقيق محي الدين صبري الكردي، 1938ــ ص5–6.

[130] انظر: مفتاح العلوم السكاكي،القاهرة، 1937، ص 170.

[131] انظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، دار المعرفة، بيروت، ص 303 .

[132] انظر: المقدمة لابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص ــ ص : 379ــ 380، والتأويل بين شروط النص ومقتضيات العمران،عثمان صادق شريحة.

[133] انظر: الهوامل والشوامل، التوحيدي وابن مسكويه ص8، نشره أحمد أمين والسيّد أحمد صفر، القاهرة 1951 .

[134] انظر: الإمتاع والمؤانسة التوحيدي ج1، ص 109، تصحيح أحمد أمين وأحمد الزين، المكتبة العصريّة، بيروت 1953.

[135] انظر: التأويل بين شروط النص ومقتضيات العمران، عثمان صادق شريحة

[136] انظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني دار المعرفة، بيروت، 1978، ص ــ ص : 202 ــ203 .

مع القيم الاستعماليّة التي كانت سائدة في عصر الوحي ومازالت مستمرّة إلى اليوم، بل أكثر من ذلك كان النص معجزا في وجوه لأنه قام على الإبداع في كيفيّات إخراج المعنى، وهو نوع من الكلام مخصوص " و في كل نوع ...لمحة دالّة، واختصار وتلويح يعرف مجملا ومعناه بعيد من ظاهر لفظه[137].

مسلمة اللسان بالمواصفات التي ذكرها أهل الأصول وما جهدوا لتأسيسه ضمن مسلمة المقاصد ... ومن اعتبارات لغوية وتاريخية لم يكن إلا لبناء مسلمة الوحدة ومبدأ عدم التناقض، وبهذه المسلمة التأويلية ردَّ الشاطبي كثيرا من التأويلات التي يعتبرها غير سليمة لأنها لم تنظر للنص الإلهي نظرة كلية ولم تأخذ مبدأ عدم التضاد بعين الاعتبار[138].

الخاتمة:

وفي ختام هذه الورقة التي طوفت بنا على رؤية معرفية وقواعد أصولية ومنهجية إجرائية تتجدد بها العملية التأويلية وتتحدد بها النظرة التفسيرية للنص القرآني وبالخصوص في هذا العصر الذي أصبحنا نعاني فيه من غربة الزمان بتقليد الماضي دون تبصر وغربة المكان بتقليد الآخر دون بصيرة، ولذا **كانت النتائج** على النحو الآتي:

-أن ما نطلق عليه فهم القرآن ليس المعنى القصدي وإنما الإدراكي ويعرف ذلك بالقرائن والأحوال التي تتكاثر بتكاثر وعي المتلقي وتيقظ مداركه.

-بقدر ما تتطور معارفنا حول الطبيعة والنفس الإنسانية وكلما اكتسبنا سببا جديدا يحملنا على أن نرى الأشياء من زاوية مختلفة فإن ذلك يدعونا إلى أن نضع المشكلات ونحن ندرسها بما يتفق وهذا الجديد من واقع العلم والمسألة القرآنية لا ينبغي أن تخرج عن هذه القاعدة[139].

-أن المنهجية الإسلامية تقوم على أصل محور وقطب جاذب هو التوحيد بدلالاته المختلفة وامتداداته المتشعبة التي شكلت قوام الأمة في تجربتها التاريخية.

-أن كتابا نزل إلى العالمين إلى الناس كافة على امتداد أزمنتهم وأمكنتهم لا بد أن يبقى مفتوحا لأجيال تنهل منه على اختلاف بيئاتها وأزمانها ولو كان ذلك بأقدار

---

[137] انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق تحقيق صلاح الدين الهواري وهدى عودة، بيروت دار ومكتبة الهلال، ط1، 1996، ص112.

[138] انظر: الاعتصام الشاطب يتح سليم بن عبيد الهلالي دار ابن عفان ط1997/1م ص823/2

[139] من مقدمة الشيخ محمد عبدالله دراز لكتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي دار الفكر بيروت دمشق ترجمة عبد الصبور شاهين تقديم محمد دراز ومحمود محمد شاكر2000م ص 10-11.

ونسب متفاوتة والمقدار الذي يبلغه كل جيل هو المطلوب منه شرعا إذ بذل الوسع والجهد وإخلاص النية والقصد.

-إن من الأخطاء الكبيرة وبدايات الانحراف في الفهم والاستمداد أن تعمد مدارس أو فرق واتجاهات إلى محاصرة الوحي بأفهامها فلا تسمح له بالامتداد إلا بمقدار ما تسمح به عقولها فتحرم بذلك عقولا أخرى من حظها في الفهم والرأي والاجتهاد.

- أن فكرة المبادئ المطلقة فكرة دخيلة فكل شيء في عالم التجربة والتأويل قابل للتحول فالشرّاح الكبار لا يؤمنون بعالم مغلق يسمى باسم خلاب هو التأريخ والتجانس والملاءمة التاريخية إنما يفهم العمل على أساس قابلية المشاركة فيه من جانب قارئ معاصر هذه المشاركة لا تقوم على مزاج معين وإنما المشاركة بمسلمات وقواعد اللسان والمقاصد وانسجام القرآن بعضه ببعض.

-اللغة ليست نظاما مغلقا على نفسه بمعنى بين اللغة والمجتمع من صلات واختيارات اللغة لا تشرح بمعزل عن سائر اخيارات الحياة شريطة البحث عن قواعد تكون في خدمة الفهم الخلاّق للنص.

-من الضروري التمييز بين تعمق النص واقتحامه بمعنى تعميق النظر والتأمل في دلالاته الممتدة لا التسلط على الكلمات وإخضاعها فالدلالة ليست كلأً مباحا الكلمات حرية ولكل حرية قيود فكل تأويل يقوم على الاستئذان وما يشبه دق الباب وآداب الدخول.

-التفسير كشف عن قصور بعض النظريات التي حاولت تأصيل مسألة الدلالة، التفسير كان ويكون سعيا متصلا إلى آفاق إنسانية،

-دلائل النظم والتركيب تبحث عن روح الانسجام الخفي بين الكلمات قياسا على الانسجام بين مظاهر الكون بوصفه آية.

-جوهر مآخذ التفسير التجزيئي انفصال التفسير عن الواقع الحياتي للأمة بينما التفسير الموضوعي هو أسلم المناهج وأمثل الطرق للكشف عن حقائق القرآن الناصعة التي تعد عوامل الإصلاح الحقيقي إصلاح الفكر وإصلاح السلوك.

- تفسير القرآن هو الكشف عن كون هذا القرآن كتاب هداية وإعجاز ومنهج حياة.

- النظر في القرآن لا يكون إلا من خلال الواقع لكشف نواميس الكون وسننه والبحث عن ترجمة عملية للنص القرآني، والنظر في الواقع لا يكون إلا من حلال

القرآن لتحقيق العلاج، وهاتان نظرتان متكاملتان بهما يتحقق للأمة النهوض والشهود الحضاري.

-يمثل التفسير الموضوعي نمطاً من الاستجابة للتطورات الحديثة التي استجدت في حياة المسلمين، باعتباره منهجاً يساعد المفسر على استجلاء نظريات القرآن وقواعده في شتى شؤون الفكر والحياة.

-لا بد من تطوير الأدوات المنهجية وربطها بالعلوم اللسانية، والتي يمكن من خلالها الكشف عن بنية القرآن، ومفهوماته، ونظرياته، وأحكامه، بطريقة أشد تماسكاً وأقل اختلافاً.

-القرآن الكريم لم يكن في قلوب وعقول أصحابه كتاب مواعظ أخلاقية فقط أو تاريخا أنزل للعبرة عن قرون ماضية إنما هو كتاب ... وضع الخطوط الرئيسية للوجود كله فهو كتاب الكون منذ نشأته إلى فنائه[140].

-لم يحظ "المنهج" في التفسير (بالمعنى العلمي لمفهوم المنهج) بالدراسة الكافية في حقل الدراسات القرآنية الدلالية، واكتُفي بتوصيفات أولية، إلا بعد ظهور منهج "النظم القرآني" لدى عبد الحميد الفراهي الهندي.

-إعادة دراسة القرآن تستمد مشروعيتها من طبيعة القرآن نفسه فهو نص أنزل ليقرأه كل من يدخل في خطابه، ولا يحده زمان أو مكان، كما أن ما كتبه المفسرون هو تجربة في فهم القرآن، إن كشفت عن جوانب من معانيه وأحكامه فإن جوانب أخرى ما تزال مكنونة فيه.

-الالتفات إلى الأهداف الأساسية للقرآن الكريم المتمثلة في

*الهداية إلى الله شاملة للفرد بكل كيانه للفرد بكل كيانه ومشاعره وأحاسيسه وجوانب حياته وللأمة بكل أفرادها ومرافقها ومجالاتها وللإنسانية كلها.
*إيجاد الشخصية الإسلامية المتكاملة المتوازنة (أومن كان ميتا فأحييناه).
*إيجاد المجتمع الإسلامي القرآني الأصيل بمعنى بناء المجتمع على منهج القرآن وأسسه ومبادئه وتوجيهاته.
*قيادة الأمة المسلمة في معركتها اللازمة مع الوجود والموجودات.
-ملاحظة المهمة العملية الحركية للقرآن والقرآن الحكيم وصف لحكمته والحكمة من صفات العقلاء.

---

[140] أنظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام د. سامي النشار ط/32دار المعارف ص 10.

-المحافظة على جو النص القرآني.

-دخول عالم القرآن دون مقررات سابقة.

-الاستعانة بالمعارف والثقافات الحديثة في فهم النص وعمله.

-من المداخل المعاصرة للتفسيرالدراسة التي تجعل من المصطلح موضوعا لها ضمن معطيات: الإحصاء والاستقراء التام لكل موارد المصطلح، والدراسة المعجمية اللغوية المتأنية للأصول الدلالية للألفاظ، وبيان العلاقات المفهومية بين المصطلحات.

-الالتفات إلى مراعاة أهمية بنية النص القرآني بفضل تطورات العلوم اللغوية واللسانيات أعاد الاعتبار إلى المفردة القرآنية بمنهجية تتجاوز مشكلات المنهجيات التي اقتصرت على المعنى اللغوي المعجمي من خلال الخصائص المميزة له والعلاقة السياقية أو الإسنادية للمفردة القرآنية، وكذلك الترابط بين مختلف المفردات القرآنية، فتصبح مفهوم ممتلئ بالإيحاءات والدلالات.

-إن البناء المؤسس على المسلمات الثلاث هو الإطار النظري الذي طمح الأصولي لبنائه من أجل تأطير قراءة النص الإلهي وتوجيه سيرها حتى يحصل لها سمة الوسطية.

-بالمسلمات الثلاث تتحقق القراءة المأخوذة على التوسط والاعتدال البعيدة عن الإفراط والتفريط القراءة المستوحاة من السلف فعليها كان أكثر السلف المتقدمين وباعتمادها كانوا أفقه الناس في القرآن[141].

القواعد الأصولية التي أنجزت لقراءة النص تميزت بالأتي

*قراءة نصية جسد فيها النص المبدأ والمنتهى

*قراءة موجهَّة من النص ذاته من خلال ما رسمه النص من مسلمات لقراءته تمثلت باللسان والمقاصد والانسجام

*قراءة متفاعلة إلى جانب كونها نصية فلا تلغي دور القارئ بل تلح عليه وتستدعيه من خلال مسلمة اللسان بشرط مراعاة الانسجام وما انتهى إليه من مقاصد كبرى لهذا النص.

*قراءة عقلانية وسطية تتأبى على العبثية والاعتباط واعتدال يرفض الإفراط والتفريط فلا هي قراءة ظاهرية تقف عند السطح اللغوي ولا هي قراءة باطنية تلغي هذا المعطى اللغوي لتلهث خلف الكلمات باحثة عن دلالات لا تؤيدها قوانين اللسان ولا يؤكدها انسجام نص الوحي ولا مقاصده الكبرى142.

التوصيات

---

[141] الموافقات 309/3.

[142] انظر: القراءة في الخطاب الأصولي يحي رمضان ص 515-516.

-توجيه الدراسات العليا الجامعية نحو المفردات القرآنية،كامتداد إلى جهود العلماء الأوائل في تحقيق المفردات القرآنية كالراغب الأصفهاني، والسمين الحلبي، والفيروزآبادي، والفراهي.

-إيجاد علم مستقر لأصول التفسير كنوع من المنهجة تضبط عملية تأويل النص على غرار علم أصول الفقه ومناهجه.

توجيه الدراسات الجامعية الأولى للكشف عن التطور الدلالي الحاصل في الألفاظ القرآنية، وذلك من خلال الدراسة المعجمية التي تعتبر مدخلا لبيان دلالات هذه الألفاظ.

إدخال الدراسات اللسانية المعاصرة ضمن مقررات الدراسة لأقسام التفسير في الجامعات مع ملاحظة أوجه الاتفاق والافتراق للنفي والإثبات.

إنشاء مجمع دولي سنوي يلتقي فيه العلماء والخبراء من المهتمين بهذا الشأن لتأصل هذا العلم باعتباره المدخل الأساس للشهود الحضاري المعاصر لأمة الإسلام.

وفي الختام فإن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصا واستدلالا، ووفقه الله للقول والعمل بما علم منه فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الريب ونورت في قلبه الحكمة واستوجب في الدين موضع الإمامة. فنسأل الله المبتدئ لنا بنعمة قبل استحقاقها، المديمها علينا مع تقصيرنا في الاتيان على ما أوجب به من شكره بها، الجاعلنا في خير أمة أخرجت للناس: أن يرزقنا فهما في كتابه ثم سنة نبيه وقولا وغملا يؤدي به غنا حقه ويوجب لنا نافلة مزيده.

قاله الشافعي ابتداءً وقلته اقتداءً، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه